المقدمة

oberkandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم فتنت عشاق الدنيا بكثرة أموالهم وابتليتهم بتقلب أحوالهم،سبحانك شغلت أهل محبتك بطاعتك وحميتهم من دنيا فتنتك، وأشهد أن لا إله إلا الله، بيده لا بيد غيره الهداية والتوفيق والإرشاد إلى أقوم طريق، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، قال فصدق، وسابق إلى الخيرات فسبق، وما لباب الشهوات والله طرق، ولا بالباطل أبدا نطق .

اللهم صل وسلم وبارك على شمس الهداية، ونور العرفان وبدر الظلام، سيدنا محمد ابن عبد الله، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الذين لم تشغلهم دنياهم عن أخرآهم، ولا صرفتهم شهوات الحياة عن واجب لمولاهم، فعاشوا آمنين، وماتوا قانتين، فرضى الله عنهم أجمعين.

أما بعد .....

فإن مقومات الفكر الصالح نور من الله تعالى يقذفه فى قلوب أحبابه الذين لا يغشون عن ذكره، فيسطع على الوجدان، فينفى خواطر السوء، كما ينقى الكير خبث الحديد، فتصفو النفس من أكدار المادة والشهوات، وتستعين فى أسلوبها على اكتساب كل إرادة طيبة وتصبر حتى تلين إلى ذكر الله تعالى وتخشع لما نزل من الحق وتصطبغ بصبغة أهل الهدى والنور .

ومقومات الفكر السيء غرام بالشهوات وولوغ فى الدناءات حتى يخبو نور العقل وترتفع عن العبد صلات ربه ، وينأى عن رحمته ولا يسمع لندائه ودعاه ، فيخلص إلى استماع الشيطان وضالى الخلق ويدخل فى ظلام التقليد الأعمى ،فلا يخطر بوجدانه إلَّا خواطر السوء ولا تهتف بقلبه إلَّا إرادات السوء، وتضعف ذاته أمام سلطان الضلال حتى يبوء بالخذلان والظلم وسوء الجزاء .

وخلق الله الإنسان بقدرته، ونفخ فيه من روحه ،وجعله خليفته فى أرضه ، وأكمل فيه القوى والإستعداد ومكنه من الفعل والترك ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [1]

من هنا والإنسان فى صراع شاق بين دوافع الروح التى تدعوإلى الخير وبين وساوس الشيطان الموجهة إلى الشر ، فمن أراد الكمال والعزة فى الدنيا ، والنجاة وعلو المنزلة فى الآخرة كان فى جهاد دائم مع نوازع الهوى ودوافع الإثم ووسوسة الشيطان داخل نفسه ثم قاوم

---

[1] سورة الشمس الآيات ٥-١٠

بعد ذلك قوى الشر فى الحياة من حوله قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١] وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾ [٢] وقال : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٣]

على أن هناك عقولًا جامدة أوصلها تخيلها وتفكرها إلى الضلال فعبدت مالا يعبد، واعتبرت الحياة مادة خلقت بذاتها، وأنكرت وجود خالق الكون والناس، وبالتالى أنكرت الرسل والكتب واليوم الآخر، وهى بذلك تحبط العمل الصالح الذى يؤدى إلى سعادة الفرد والمجتمع دنيوياً ويحقق نعيم الآخرة.

والذين تبهرهم مظاهر الترف والتقدم فى الغرب، إنما ينظرون إلى زينة الحياة الدنيا، ينظرون إلى مظاهر الحياة دون جوهرها، لا يتعمقون أغوار النفوس ولا يبصرون الشقاء والتعاسة الروحية التى تعانيها تلك المجتمعات، ويكفى أن أرقى أمم الغرب وأعلاها مستوى معيشة قد دلت الإحصاءات على أنها أكثر بلاد العالم تعاسة وشقاء، ففيها أعلى نسبة من أمراض الصرع والجنون وتعاطى المخدرات وانحرافات الشباب وحوادث الإنتحار.

ولا يعنى هذا بطبيعة الحال أنه دعوة إلى مقاطعة التقدم الغربى أو الوقوف موقف العداء والخصومة من علوم الحضارة الغربية، ولكنه يعنى أننا نأخذ من تلك العلوم والمنجزات كل مايفيدنا، فالعلم لا وطن له، والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها، إنما المهم ألاَّ نفتن بالمظاهر، وألَّا تبهرنا زخارف الحياة فى الغرب، فنأخذ من علومه ما نشاء ونحن على يقظة كاملة لما فيه من انحرافات، كما يعنى هذا أن الإسلام هو الذى يملك أن يوفق بين التقدم المادى والروحى وأن يوفر بمنهجه الربانى للبشرية الأمن والسعادة والسلام.

فالإسلام دين شامل جامع وضع لكل داء دواءه النافع، فهو تارة يدعو إلى الدنيا والعمل على الأخذ بأسبابها، وتارة يدعو إلى الزهد فيها والتقليل من شأنها وهو إذا دعا إلى عمارة الدنيا فهو على صواب، وإذا دعا إلى الإقلال منها فإنه يقصد معالجة النفوس بقدر وحساب، والإسلام على حق فى كلتا الحالين لأنه يريد للمسلم السعادة فى الدارين.

---

[١] سورة يوسف الآية ٥

[٢] سورة النور الآية ٢١

[٣] سورة فاطر الآية ٦

وبعد ... فإن الطريق إلى الله سهل ميسور لا يحتاج إلى حيانتين ولا اعتقادين ولا إيمانين إنما يحتاج إلى صدق النية وإخلاص العلم والعمل فيشرق فى القلب نور الإيمان ومتى انشرح صدر الإنسان بالإيمان فلن تطفىء جذوته إلى أن تقوم الساعة.

من أجل هذا تقدمت إلى قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة بهذا الموضوع وسميته " **الشقاء أسبابه ومظاهره وطرق علاجه فى ضوء القرآن الكريم** "دراسة موضوعية وتمت الموافقة عليه وأرجو أن ينال من الله تعالى القبول.

أولا : أهمية الموضوع

إن العالم الذى نعيش فيه اليوم- فى أنحاء الأرض- هو عالم القلق والإضطراب والشقاء والخوف، والأمراض العصبية والنفسية، باعتراف عقلاء أهله ومفكريه وعلمائه ودارسيه، على الرغم من كل ما بلغته الحضاره المادية،.. إنها حقيقة الناس فى أكثر بلاد الأرض رخاء عاماً، فى أمريكا وفى السويد، وفى غيرهما من الأقطار التى تفيض رخاء ماديا، إنهم ليسوا سعداء، إنهم أشقياء يطل الشقاء من أعينهم وهم أغنياء.

فالشقاء البشرى ليس اقتصادياً فحسب كما لا يتعلق بالمال والأولاد فقط، وإنما ضنك المعيشة له أسباب متعددة ..فقد يملك الإنسان أموالًا طائلة .. ومع ذلك يضيق بحياته.. ذلك أن جوانب النفس البشرية جوانب شتى قد يشبع المال جانباً منها.. وتبقى الجوانب الأخرى فى ضيق وشقاء..ولذلك نجد أن إنساناً يملك أموالاً طائلة.. قد يرغمه ظرف من ظروفه أن ينتحر.. لماذا؟

لأنه ابتعد عن منهج الله تعالى. ولذلك نجد أن القرآن الكريم يفسر ذلك تفسيرا دقيقا قال تعالى ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1] ...هذا فى الدنيا.

ثم قال تعالى ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2] فقوله تعالى﴿ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ يدل على أن تعاليم الله نزلت لتحمى الإنسان من ضنك وشقاء المعيشة فى الدنيا.

ولا عجب.. فإن الله ﷻ جعل من الإسلام نظاماً يكفل سعادة الفرد والجماعة نظاماً لم يترك باباً من أبواب الخير إلاَّ أمر به ونظمه، ولا طريقاً إلى الحياة الطيبة والسعادة الوارفة إلَّا هيأ وسائله ووضح معالمه ولم يدع عنصرا من عناصر الفساد إلاَّ حذر منه وبينَّ عواقبه، ولا عاملًا من عوامل الشر إلَّا نفر منه وسد نوافذه، كل هذا تبصرة للإنسان فى حياته وتوجيهاً له فى

---

[1] سورة طه الآيتان ١٢٣- ١٢٤

[2] سورة طه الآية ١٢٤

سلوكه وتنشئة له على ما به يصلح أن يكون خليفة لله فى أرضه، وأن يكون لبنه صالحة فى المجتمع العام الإنسانى والوطنى.

هذا قليل من كثير ما يمكن أن يقال عن النظام الإسلامى الذى وصفه الله تعالى لبنى الإنسان هذا النظام الذى كفل حق الإنسان المادى والروحى فإن الإنسان عبارة عن جسم وروح ولكل منهما رغبات ولكل منهما متع وحظوظ.

فقد راعى الإسلام فى نظامه هذا كفاية كل من الجسم والروح من احتياجاته ومتعه وحظوظه، لم يرفع أحدهما على حساب الآخر، ولم يهمل أيهما اكتفاءً بما فى الآخر من أدب رفيع واستقامة، إذ هما فى سعادة الإنسان وشقاوته سواء لاغنى بأحدهما عن الآخر ولا تتحقق سعادة الإنسان إلَّا فى استكمالهما وتنظيم حقوقهما، من غير تفريط ولا إفراط، لذا نرى أن كل ما أمر به الإسلام وكلَّف الإنسان بأدائه أمراً كان أو نهياً، وأن كل ما جاء به من عقائد وعبادات غذاء للروح وتهذيب لمطالب الجسم وشهواته- فلم يترك مطالب الجسم وشهواته- وهى قوة دافعة لا قبل للإنسان بها- تفعل أفاعيلها بالإنسان حتى تحرفه وتخرج به عن الجادة وتجرفه فى مهاوى الرزيلة بل نظم هذه المطالب وهذَّب هذه الشهوات تهذيباً حكيماً متزناً لا يحرم الجسم من رغباته ولا يدعها تجره إلى نور الفساد ومهاوى الرزيلة، قال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[1]

ثانيا : أسباب اختيار الموضوع

والذى دفعنى إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب أهمها :

١- ما امتلأت به نفسى وما تملك قلبى من حب شديد وشوق ملح إلى تفهم معانى القرآن الكريم، والوقوف على أسراره ومعانيه، والحق أننى حينما أقرأ القرآن الكريم أشعر بإحساس غريب يستولى على مشاعرى ويملك علىّ فؤادى ويشغلنى عمن حولى، وإننى لأجد فيه غذاء الروح وشفاء النفس ودواء القلب وتطهير المشاعر من أرجاس المادة والسمو بالروح إلى عالم علوى سماوى حيث يكون الصفاء والطهر والنقاء.

٢- حال الأمة الإسلامية المتردى فى هذه الأيام فى كثير من المجالات، وظهور الفساد فى كثير من المجتمعات، قال تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2] خاصة ونحن فى عصر تحكمت فيه

---

[1] سورة الأنعام الأية ١٥٣

[2] سورة الروم الأية ٤١

الشهوات، وضاعت فيه الأخلاق الفاضلة بعد أن أبعد الإسلام عن مجال التطبيق العملى، فشاعت الرزائل والفواحش التى أثمرتها مناهج البشر وأنظمتهم والتى اهتمت بالجانب المادى من الإنسان على حساب الجانب الروحى، فجعلت الإنسان لا هم له إلّا المأكل والمشرب وإشباع شهوته الجنسية، كما يحقق مصالحه بالقوة والعنف ولو على حساب غيره من أجل مصلحته الخاصة.

وهذه هى أخلاق الحضارة الغربية[1] التى نسيت ربها، فأنساها نفسها وراحت تبحث عن غايات للإنسان لا يمكن أن تحقق له سعادته الحقيقية

٣- إن ما أراه بل نراه جميعاً من تأثير تحديات العصر الحاضر على أمتنا الإسلامية مما ألحق بها عوارض طارئة وشوائب مشوهة حولتها من صورتها المثالية المشرقة الزاهية إلى تلك الصورة المهزوزة الباهته التى بعدت بها عن أصلها بعداً كبيراً ، وانحرفت بها عن مسارها المرسوم انحرافاً واضحاً ، يحتم علينا نحن المسلمين أن نقف من آن لآخر لنراجع أنفسنا .

لذا أردت إظهار عظمة الإسلام بتعاليمه الهاديةومبادئه السامية ، وصلاحيته للتطبيق فى كل زمان ومكان.

٤- فإن نظرة إلى الواقع البشرى اليوم تنبىء بأن جُلَّ الناس قد ولوا وجوههم شطر الحياة الدنيا وزينتها ، وجعلوها مبلغ علمهم وغاية قصدهم وميدان تنافسهم ، قصداً إلى حياة مترفة وعيش رغيد ،حتى صارت لديهم مقياساً لأقدارهم ، وميزاناً لأعمالهم وموجها لحركتهم وسلوكهم ، الأمر الذى أدى إلى مفاسد عدة فى مناحى شتى.

٥- زوال البركة بكل صورها ،وظهور الأوجاع التى لم تكن فى السابقين وكثرة التناحر والتفكك، ووقوع العالم الإسلامى فى مآزق شديدة، ومشكلات عصيبة ومنعطفات خطيرة، ولا سبيل للخروج من هذه المآزق، وتلكم المشاكل، وهاتيك المنعطفات إلّا بتطبيق الإسلام قولاً وعملاً فى جميع شرائعه وأحكامه وأخلاقياته.

٦- أردت أن أبين أن الناس إما سعداء أو أشقياء، فالسعيد من تجنب مخاطر الحياة وشهواتها، وانصرف إلى الآخرة ونعيمها بالأعمال الصالحات والأفعال الطيبات، والآثار الخالدات،

---

[1] قارن ما يحدث الآن على الساحة الإسلامية حيث الهيمنة الغربية ومحاولة السيطرة على مقدّرات المسلمين واخضاعهم لسلطان أمريكا و أوروبا و ما يحدث فى البوسنة و الهرسك و الصومال و العراق و غيرها.

والشقى من طغى عليه سيل هذه الشهوات، فجرفه إلى موارد الهلكة وأودى به إلى النار وبئس القرار.

٧- أردت أن أبيّن أنه لابد من التفريق بين أهواء النفس المحرمة ومطالبها المعقولة المقررة، فإن كثيراً من المتدينين يخلط خلطاً سيئاً بين الأمرين.

٨- أردت أن أبين أن الله سبحانه وتعالى قد رسم لعباده طريق النجاة والسعادة فى الدنيا والآخرة وحذَّرهم من الإنحراف عن هذا الطريق الربانى السليم وبين لهم نتيجة الإلتزام ونتيجة الإنحراف عن دينه قال تعالى ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[1]

هذه ومضات فكرية مرت بخاطرى مستقاه من الواقع الملموس قبل الكتابة فى الموضوع، وهى فى الحقيقة تصور عواقب الشقاء الوخيمة وغوائل الإسراف فى اجتناء اللذات وأهواء المادة وشهوات المال، مما يكون له أسوأ الأثر فى تربية الجيل الصلبة ولا سيما جيلنا العربى أوالمسلم الذى يعيش الآن ضجيع التأخر والتخلف، ثم يروح سادر الخيال يتأمل تحقيق العدل، والإنصاف والرحمة والإستقلال المادى والمعنوى من عدو ماكر يخطط لإضعاف أمتنا وإبقائنا فى ظلمات الماضى ولكن هل يرجى الخير من الأفاعى، أو ينتظر الدواء الشافى من عقارب السوء، وذئاب البشرية الضارية؟

لذا أردت أن ألتمس موقف القرآن الكريم من هذا الداء العضال وذلك من خلال استعراض حديثه عن الشقاء أسبابه ومظاهره وطرق علاجه.

ثالثا : خطة البحث

هذا البحث يحتوى على مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة وذلك على النحو التالى:

المقدمة: وضمنتها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وخطة البحث ومنهجى فيه ونبذة عن فضل القرآن الكريم باعتباره معجزة العلوم ومنبعها، ودائرة شمسه ومطلعها ونبذة عن التفسير الموضوعى وأهميته وأنواعه .

وأما **التمهيد:** فيتضمن تعريف الشقاء ونبذة عن السعادة .

وأما **الباب الأول:** فتناولت فيه أسباب الشقاء ويتضمن ثلاثة فصول.

الفصل الأول: بعنوان الإغترار بالشيطان ويتكون من ثلاثة مباحث:

---

[1] سورة طه الأيتان ١٢٣- ١٢٤

المبحث الأول: التعريف بالشيطان (أسمائه– أوصافه– أساليبه).
المبحث الثانى: وسائل الشيطان فى الكيد.
المبحث الثالث: معونة الله تعالى لعباده المؤمنين فى مواجهة الكيد الشيطانى.

الفصل الثانى: بعنوان الإغترار بالدنيا ويتكون من مبحثين:
المبحث الأول: اتباع الهوى.
المبحث الثانى: الركون إلى شهوات الدنيا.

الفصل الثالث: فعنوانه اقتراف الذنوب والمعاصى ويتكون من مبحثين:
المبحث الأول: الذنوب وأقسامها.
المبحث الثانى: الرياء وأثره على الفرد والمجتمع المسلم.

أما **الباب الثانى**: فتناولت فيه مظاهر الشقاء الدنيوية والأخروية ويتضمن فصلين:
الفصل الأول بعنوان: مظاهر الشقاء الدنيوية ويتكون من مبحثين:
المبحث الأول: مظاهر الشقاء الدنيوية على النفس.
المبحث الثانى: مظاهر الشقاء الدنيوية على البدن.

الفصل الثانى: مظاهر الشقاء الأخروية ويتكون من مبحثين:
المبحث الأول: مظاهر الشقاءالأخروية على النفس
المبحث الثانى: مظاهر الشقاء الأخروية على البدن.

أما **الباب الثالث**: فتناولت فيه طرق الوقاية من الشقاء ويتكون من ثلاثة فصول:
الفصل الأول فعنوانه العقيدة وأثرها على الفرد المسلم ويتكون من ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: العقيدة وأهميتها.
المبحث الثانى: خصائص العقيدة الإسلامية.
المبحث الثالث: بعنوان أثر العقيدة على الفرد والمجتمع المسلم.

الفصل الثانى: العبادات وأثرها على الفرد والمجتمع المسلم ويتكون من خمسة مباحث:
المبحث الأول: العبادات وأهميتها.
المبحث الثانى: الصلاة وأثرها على الفرد والمجتمع المسلم.
المبحث الثالث: الزكاة وأثرها على الفرد والمجتمع المسلم.

المبحث الرابع: الصوم وأثره على الفرد والمجتمع المسلم.
المبحث الخامس: الحج وأثره على الفرد والمجتمع المسلم.

الفصل الثالث: الأخلاق وأثرها على الفرد والمجتمع المسلم ويتكون من ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: الأخلاق وأهميتها
المبحث الثاني: الإخلاص وأثره على الفرد والمجتمع المسلم.
المبحث الثالث: التوكل وأثره على الفرد والمجتمع المسلم.

أما **الباب الرابع**: فتناولت فيه طرق علاج الشقاء ويتكون من فصلين:
الفصل الأول: بعنوان العلاج الحسى ويتكون من مبحثين:
المبحث الأول: الحدود وأهميتها.
المبحث الثاني: أثر تطبيق الحدود على الفرد والمجتمع المسلم.

والفصل الثاني فعنوانه: العلاج المعنوى ويتكون من مبحثين:
المبحث الأول: التوبة وشروطها.
المبحث الثاني: فضائل التوبة.

وأما الخاتمة فتتضمن أهم النتائج والتوجيهات التى توصلت إليها خلال رحلتى مع البحث ثم انتهيت إلى الفهارس وضمنتها: فهرس المصادر والمراجع. فهرس الموضوعات.

رابعا : منهجي في البحث

أماعن منهجى فى البحث فكان على النحو التالى:

(١) قمت بعزو الأيات إلى سورها وترقيمها مع كتابتها بخط واضح، ومشكل بتشكيل المصحف الشريف.
(٢) قمت بتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، وكان جُلّ اهتمامى بما جاء فى البخارى ومسلم، ثم بقية الكتب التسعة، مع تشكيل الأحاديث حتى يسهل على القارىء قراءتها وما كان منها ضعيفاً أشرت إليه من أقوال العلماء.
(٣) قمت خلال رحلتى مع البحث بالتوسط بين المراجع القديمة، والمراجع الحديثة
(٤) قمت بتخريج الأقوال من مصادرها الأصلية، مع ذكر المجلد ورقم الصفحة والمطبعة والتاريخ إن وجد.

(٥) قمت أثناء البحث، والكتابة بذكر مايتصل بموضوع الرسالة حتى ولو كان كلمة واحدة.

(٦) قمت بالتعليق والتوضيح على ما ذكرته.

(٧) قمت بذكر المصطلحات اللغوية للألفاظ الواردة في عناوين الموضوعات، ثم قدمت بمقدمة وجيزة عن الموضوع، وانتهت بخلاصة ما ذكر في هذا الموضوع، حتى أترك الفرصة للقارىء الذى لا يتسع وقته لقراءة الموضوع بأكمله، أن يقرأ المقدمة والخلاصة.

(٨) قمت بترتيب الرسالة ترتيباً يجعل القارىء ما إن ينتقل من نقطة إلاّ وتشوق إلى قراءة التى تليها، وربطت أجزاء الرسالة بعضها البعض فجعلتها وحدة واحدة، لا يجوز أخذ جانب وإهمال آخر أياً كان هذا وبعد أن ذكرت أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث ومنهجي فيه أذكر نبذه عن فضل القرآن الكريم باعتباره معجزة العلوم ومنبعها، ودائرة شمسه ومطلعها.

خامساً : نبذة عن فضل القرآن الكريم

إن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، وحقيقته المعجزة، نزل به سيدنا جبريل على قلب النبى الكريم ﷺ فى ثلاثة وعشرين عاماً هى مدة الرسالة، والقرآن الكريم آخر كتاب أنزله الله هداية للناس أجمعين وجعله مباركاً قال تعالى ﴿ وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1]

هذا القرآن العظيم الذى لا تنقضى عجائبه، ولايخلق على كثرة الرد، ولا غرابة فهوكلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد الأولين والآخرين، أحسن الكتب السماوية إحكاما وأعدلها نظاماً ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [2]

يقول **البليهى**: فهو فى نعمائه الشائعة وفصاحته وبلاغته وحسن تركيبه، وسحر بيانه فى إيقاعه وانسيابه، أجمل من عقود اللآلىء والمرجان، وأعذب من شراب السلسبيل، فما أحسن وقع القرآن المجيد، فهو والله نهر الحياة، متدفق على قلوب القابلين له، والمؤمنين به، يغذيها بالإيمان والتقوى لله تعالى، ويحميها من التعفن والفساد، ويحملها كل خير وفضيلة ومهما بالغ

---

[1] سورة الأنعام الآية ١٥٥

[2] سورة الزمر الآية ٢٢

الواصفون لكتاب الله تعالى وتفننوا في وصف ما اشتمل عليه، هو فوق ذلك وأعظم، لأنه كلام الله العظيم الذى من هيبته وعظمته وروعته لو أنزل على جبل شامخ القمة، صلب التكوين ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[١][٢]

ويقول **الدكتور/سعيد عرام:** "ولقد كان من أهم سمات القرآن الكريم ، بعد هيمنته على ما سبق من الكتب السماوية ووفائه بحاجات البشر، أنه مصلح لكل زمان ومكان لما اشتمل عليه من الخصائص وما حواه من التعاليم التى تعالج المشكلات الإنسانية، وتحتاجها البشرية فى شتى مرافق الحياة"[٣]

حقاً إن هذا القرآن، هو سفينة النجاة، ومشعل الهداية، ونبراس الطريق، وحصن الأمن والأمان، والسلامة والإطمئنان ،وبحر الحِكَم، ومنبع الأحكام، ومعدن كل فضيلة فى كل زمان ومكان قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [٤]

يقول **الشيخ عبد الله بن جار الله:** "ما أعظم هذه القاعدة ،وما أحكم هذا الأصل العظيم، الذى نص نصاً صريحاً على عموم هداية القرآن الكريم ،وعدم تقييد هذه الهداية بحال من الأحوال، فكل حالة هى أقوم، فمنها العقائد والأخلاق، والأعمال والسياسات والصناعات والأعمال الدينية والدنيوية، فإن القرآن الكريم يهدى لها ويرشد إليها ويأمر بها ويحث عليها، معنى (أقوم) أصلح وأكمل استقامة، وأعظم قياماً، وصلاحاً للأمور. فأما عقائد القرآن الكريم فهى العقائد النافعة، التى فيها صلاح وسعادة وسكينة واطمئنان القلوب وحياتها وكمالها ،فإنها تملأ القلوب عزة وكرامة بشعورها بالتجرد من الذل لمخلوق مثلها، وشرفها بتخصصها لمحبة الله تعالى تعظيماً له وتألها وتعبداً وإنابة، وهذا المعنى هو الذى أوجد الله الخلق لأجله، وأما أخلاق القرآن الكريم التى يدعوإليها ويسعد بها الإنسان، هى التحلى بكل خلق جميل من الصبر والحلم والعفو، والأدب وحسن الخلق مع الله ومع الخلق،وجميع مكارم الأخلاق ويحث عليها بكل طريق ويؤلف القلوب ويجمع المتفرق.

---

[١] سورة الحشر الآية٢١

[٢] الهدى والبيان فى أسماء القرآن ص١٠ــ ١١، باختصار ، تأليف الشيخ صالح بن ابراهيم البليهى ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط أولى ١٣٩٧ هـ

[٣] فضل القرآن وفضيلة تلاوته أ. د/ محمد سعيد عرام صـ ٣٢ بتصرف ، ط : دار الأرقم بالزقازيق ط أولى ١٤٢٣ هـ -١٩٩٣م

[٤] سورة الإسراء الآية ٩

وأما الأعمال الدينية التى يهدى إليها فهى أحسن الأعمال التى فيها القيام بحقوق الله ﷻ وحقوق عباده على أكمل الحالات، وأجلها وأسهلها، وأوصلها إلى المقاصد.

وأما السياسات الدينية فهو يرشد إلى سلوك الطرق النافعة فى تحصيل المقاصد، والمصالح الكلية وفى دفع المفاسد، ويأمر بالتشاور على ما لم تتضح مصلحته، والعمل بما تقضيه المصلحة فى كل وقت ما يناسب الحال حتى فى سياسة الوالد مع ولده، وزوجه وأهله وخادمه، وأصحابه، ومعامليه، فكل مصلحة يتفق العقلاء أنها أقوم وأصلح من غيرها، فإن القرآن الكريم يرشد إليها نصاً أو ظاهراً أو دخولًا تحت قاعدة من قواعد الكلية.... وبهذا يتبين أنه لا يمكن أن يرد علم صحيح أومعنى نافع أو طريق صلاح يرده القرآن"[١].

والبشرية كلها وخاصة الأمة الإسلامية كلما تنكبت عن المنهج القويم والصراط المستقيم، وهو ما جاء به الرسول كتاباً وحكمة، ستجد العناء والشقاء، والذل والقلق، والحيرة والإضطراب، والواقع شاهد بذلك ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا﴾[٢]،﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [٣]

هذا هو القرآن الكريم: منقذ البشرية وهادى الإنسانية، ليس للبشرية الضالة مغيث سواه ولا منقذ من شرورها وطغيانها وحروبها العالمية إلاّه، والويل كل الويل لمن تركه وتمسك بما عداه .

فلا خير للبشرية ولا طمأنينة ولا سعادة إلا بالإيمان بالقرآن والعمل به﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾

هذا هو القرآن الكريم فيه حل لجميع مشاكل الحياة البشرية، تلك المشاكل التى لا تحصى ولا تعد وصدق الله العظيم إذ يقول﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[٤]

يقول **البليهى:** "لا يشك عاقل ولا يرتاب مسلم بأن منقذ البشرية هو القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ هما اللذان ينقذانها، من غوايتها وضلالها، وكفرها وفسوقهاوجورها وانحرافها، وشقائها ومنكراتها، وبدعها وخلاعتهاومجونها، وتدهورها أخلاقياً واقتصادياً، وسياسياً.

---

[١] فضائل القرآن جمع عبد الله بن جار الله بن ابراهيم آل جار الله ، ط مكتبة الصفحات الذهبية ،الرياض العليا صـ ٦٢ – ٦٤، باختصار وتصرف يسير نقلًا عن القواعد الحسان لابن سعد صـ ١٧٧ .

[٢] سورة النبأ الآية٢٦

[٣] سورة فصلت الآية ٤٦

[٤] سورة النحل الآية ٨٩

قال تعالى﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١] وقال تعالى أيضاً ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون ﴾[٢]

ليس للبشرية الضالة مغيث ولا منقذ من شرورها وطغيانها وحروبها العالمية، الحروب الطاحنة، الحروب المهلكة للحرث والنسل، لا منقذ ولا مغيث إلَّا كتاب الله المجيد، الذى نزل لإقامة العدل فى الأرض ومنع الفساد قال تعالى﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٣]

لا خير للبشرية ولاطمأنينة، ولا سعادة إلا بالإيمان والعمل به، قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون﴾ [٤]

القرآن الكريم أنزله الرب العظيم العالم بمصالح عباده، ليكون نظاماً ودستوراً، ومنهاجاً وتشريعاً لكل أمة ولكل مجتمع بشرى، ولذا وصف الله القرآن الكريم وسماه شفاء قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥] ... نعم لا مراوغة ولا شك ولا تضليل، بأن القرآن الكريم هو منقذ البشرية من الهوة المظلمة، ومنقذها من تعاستها ومن شرورها المستطيرة قال تعالى﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٦]

فالقرآن الكريم فيه سعادة البشرية فى دنياها وأخراها، جاء بإخراجها من الظلمات إلى النور، من ظلمات الكفر والفسوق إلى نور الإيمان، والخشية والتقى لله تعالى من ظلمات الظلم والجهل والغرور إلى نور العدل والإعتدال والإستقامة لله تعالى، وعليه فيجب الإيمان بالقرآن الكريم والعمل به، عقيدة وعبادة ونظاماً وحكماً وأدباً وسلوكاً وأخلاقاً، وفى ذلك فخر الدنيا وسعادة الآخرة، حيث جاء القرآن الكريم بكل خونهى كل شر، جاء بعبادة الخالق وإبطال عبادة المخلوق، وجاء بإبطال جميع الأحكام الطاغوتية التى ما أنزل الله بها من سلطان.

---

[١] سورة الروم الآية ٤١
[٢] سورة يس الآية ٣٠
[٣] سورة الإسراء الآية ٩
[٤] سورة الأعراف الآية ٩٦
[٥] سورة يونس الآية ٥٧
[٦] سورة ابراهيم الآية ١

جاء القرآن الكريم بأحسن نظام وأعدل أحكام، جاء بحل مشاكل المجتمع فى كل زمان، وفى كل مكان، لاشتماله على متطلبات الحياة كلها، نعم لا شك ولا مراء فى أن القرآن الكريم قد اشتمل على العلوم النافعة بأجمعها، علوم التوحيد، والعقائد والعبادات والأحكام والمعاملات والأخلاق،... وغير ذلك مما يحتاجه كل مجتمع بشرى فى غاية من العدل والحكمة وفى غاية من السماحة واليسر والتسهيل قال تعالى:﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[١]

وبالجملة: "فالقرآن الكريم فيه حل لكل مشكلة فردية، واجتماعية فى كل زمان ومكان، وإن القصور والتفريط ليس من تشريعات الله ورسوله، بل إن وجد ذلك فهو من عقول المخلوقين[٢]، وفهومهم، وعدم اجتهادهم وتطبيقهم، لما جاء عن الله ورسوله"[٣].

نعم، فهو بحق الموكب العظيم الذى يحمل البشرية، ويقودها إلى ما فيه خيرها، وفخرها وعزها ،وسعادتها الدنيوية والأخروية.

وبعد هذه اللمحات السريعة حول القرآن الكريم، ألقى الضوء على التفسير الموضوعى، باعتبارأن هذا الموضوع يدور حول موضوع من موضوعات القرآن الكريم.

سادسا: نبذة عن التفسير الموضوعى

تعريف التفسير الموضوعى :

"مصطلح (التفسير الموضوعى) مركب إضافى فالتفسير فى اللغة: عبارة عن الكشف والبيان يقال: أسفر الصبح لذى عينين أى بان ووضح.

وفى الإصطلاح:عبارة عن الكشف عن معانى آيات القرآن الكريم، و الغوص فى أعماقها للوصول إلى مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

وموضوعى: نسبة إلى موضوع، فيقال مثلاً: البر فى القرآن الكريم، القيامة والجزاء فى القرآن الكريم، الإحسان إلى الوالدين فى القرآن الكريم، وهكذا."[٤]

يقول/ **محمد حجازى:** "التفسير الموضوعى هو البحث عن القضايا الخاصة، التى عرض لها القرآن الكريم فى سوره المختلفة ليظهر ما فيها من معانٍ خاصة تتعلق بالموضوع العام الذى نبحثه لنحقق الهدف الذى نريده، وهذا ما يسمى بالوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم".[٥]

---

[١] سورة الحج الآية ٧٨

[٢] باستثناء الرسل

[٣] الهدى والبيان فى أسماء القرآن صـ١٣- ١٥ باختصار وتصرف

[٤] دراسات فى التفسير الموضوعى فى القرآن الكريم صـ٧ـ د/ زاهر بن عواض الألمعى، ط الفرزدق- الرياض

[٥] الوحدة الموضوعية للدكتور / محمد محمود حجازى صـ ٥٢ ، ٥٣ ، ط دار الكتب الحديثة – القاهرة.

ويقول **د/ رؤوف شلبى:** "التفسير الموضوعى هو العلم الذى يحيط بالفكر الإنسانى، بفقه القرآن الكريم، ومنهجه فى معالجة القضايا".[١]

ويقول **الدكتور/ حسن باجودة:** المراد بالتفسير الموضوعى"أن يكون العمل الفنى متماسكاً إلى أبعد درجات التماسك، بحيث أن كل جزئية تقضى إلى التى تليها، ولايمكن حذف جزئية واحدة، لأن العمل الفنى يستغنى عنه أوإضافة جزئية أخرى يفتقر إليها"[٢]

ويقول **الدكتور/ محمد سعيد عرام:** "التفسير الموضوعى هو جمع ما تكرر فى القرآن الكريم فى موضوع واحد، ثم تقابل الآيات بعضها ببعض، كى يستعين الباحث بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً وما جاء مبينا على فهم ما جاء مجملاً وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، ويطلق على التفسير الموضوعى أيضاً: تفسير القرآن بالقرآن، ويرى بعض العلماء أن تفسير القرآن بالقرآن هو المصدر الأول لتفسير القرآن على وجه الإطلاق، فمن يتعرض لتفسير القرآن الكريم عليه أولاً أن ينظر فى القرآن نفسه، لأن القرآن الكريم كما يقولون يفسر بعضه بعضاً."[٣]

فالتفسير الموضوعى إذاً اصطلاح أطلقه العلماء على "جميع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد، الذى اشتركت فى موضوع ما وترتيبها حسب النزول- ما أمكن ذلك- مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناولها بالشرح والبيان، والتعليق، والإستنباط، وإفرادها بالدرس المنهجى الموضوعى، الذى يجليها من جميع نواحيها، وجهاتها، ووزنها بميزان العلم الصحيح، الذى يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجعله يدرك هدفه بسهولة ويسر، ويحيط به إحاطة تامة، تمكنه من فهم أبعاده، والذود عن حياضه".[٤]

نشأة التفسير الموضوعى:

لقد نشأ التفسير الموضوعى نشأة صغيرة محدودة، ثم أخذت طريقها إلى الظهور والوضوح بالبحث والنظر.

يقول **الدكتور/عبد الغفارعبد الرحيم:** "نشأت فكرة الموضوعية صغيرة محدودة المفهوم، ثم أخذت طريقها إلى الظهور والوضوح بسبب مداومة البحث والنظر، وبسبب تطور المراحل عند أهل الفكر والرأى، كلما كانت الفكرة تستحق ذلك من وجهة نظر علمية هادفة.

---

[١] تفسير الطيب صـ ٢٢ ، ٢٣ د/ رؤوف شلبى ط دار الأنصار – القاهرة.
[٢] الوحدة الموضوعية صـ ٣٥ ، د / حسن باجودة ط ثانية تهامة جدة.
[٣] التفسير الموضوعى للقرآن الكريم ، د / محمد سعيد عرام صـ ٥٣ ، ط ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
[٤] البداية فى التفسير الموضوعى صـ ٥٢ ، د / عبد الحى الفرماوى ط ١٩٧٧ م

فالفكرة الموضوعية بدأت بمسمى علم المناسبات بين الآيات، أو الربط وإحكام الصلة، أو التناسق والترابط بشكل يجعل من الآيات سلسلة مؤتلفة الحلقات، تأخذ كل واحدة منها بعجز الأخرى، لتعطى صورة مشرقة البيان، متناسقة الأغصان، فإذا بالقرآن يأخذ مكانه من القلوب بكل تمكن وعرفان، ليدل بذلك على صدق الإيمان، وهذا فى حد ذاته مطلب أساسى من مطالب القرآن"[١].

ثم بعد ذلك تطور التفسير الموضوعى واتسعت دائرته فى الدراسات القرآنية، وألفت فيه مؤلفات متنوعة وكان ممن كتب فى التفسير الموضوعى، الإمام ابن تيمية الذى قال عنه د/ عدنان زرزور "ويبدو أنه- أى ابن تيمية- بدأ فى السجن يكتب فى التفسير على هذه الطريقة التى ربما قرنت بالتفسير الموضوعى فى بعض المواطن."[٢]

وممن كتب فى التفسير الموضوعى الإمام محمد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، وكذلك الشيخ محمد مصطفى المراغى، وأيضا الشيخ جمال الدين القاسمى، والشيخ الأكبر محمود شلتوت حيث كان تفسيره تطبيقاً عملياً للتفسير الموضوعى نصاً وروحاً، حيث ظهر ذلك فى مؤلفاته واتجاهاته.

ومنهم أيضاً د/ محمد عبد الله دراز، الذى اشتغل بالتفسير الموضوعى بكل وضوح فيما كتب، وذلك واضح وجلى فى كتابه "النبأ العظيم" والدكتور محمد البهى الذى ألف تفسيراً كاملا للقرآن الكريم، مطبقاً فيه التفسير الموضوعى بكل وضوح وبيان، حيث يقول "كلما كان مصدر التوجيه موضوعياً، كلما كان أقرب إلى التعبير عن المستوى الإنسانى الرفيع فى التفكيروالذوق والإرادة".[٣] وغيرهم الكثير ممن عنوا بالتفسير الموضوعى.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن أنواع التفسير الموضوعى هى :

النوع الأول : التفسير الموضوعى للسورة الكريمة.

النوع الثانى: التفسير الموضوعى لإحدى موضوعات ومقاصد القرآن الكريم كالذى أكتب فيه أنا وغيرى من الباحثين والباحثات.

النوع الثالث : التفسير الموضوعى للقرآن الكريم كله.

---

[١] التفسير الموضوعى بين النظرية والتطبيق ، تأليف د/ عبد الغفار عبد الرحيم محمد يوسف صـ ٩ ، ط الطاووس – بلبيس – بدون.

[٢] مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية تحقيق د / عدنان زرزور صـ ١١ ط دار القرآن – القاهرة بدون.

[٣] نحو القرآن د / محمد البهى ، صـ ٧ ط مكتبة وهبه – القاهرة – بدون.

هدف التفسير الموضوعى :

إن الهدف من التفسير الموضوعى، هو التوضيح والتذكر بهدايات القرآن وتعاليمه. يقول **الدكتور/ محمد البهى:** "إنما هو استخلاص مضمون الكتاب ككل، من نظرة موضوعية شاملة مرة، واستخلاص موضوع محدد كمنهج القرآن الكريم فى تطوير المجتمع، أو موقف القرآن من المادية مرة أخرى، واستخلاص هدف السورة الواحدة، وما عنيت بإبرازه فى إطار الدعوة كلها مرة ثالثة"[١].

"وهذا النوع من أنواع التفسير يعطى الباحث عظمة لا يشعر بها إلَّا دارسها، حيث أنه يطوف ويجول حول آيات القرآن الكريم التى تهدف إلى معنى واحد، خادماً لها ومؤيداً لها بما ورد من الآثار التى تخدم هدفه بحيث يلم بموضوعه، ويظهره فى وحدة متماسكة، ظاهرة جلية لا غموض فيها ولا خفاء بحيث لو نظر القارىء له وجده كافياً، شافياً وأيقن أنها دراسة وافية لموضوع واحد فلا يحتاج إلى شىء يقويه به"[٢].

فائدة التفسير الموضوعى :

١- "التفسير الموضوعى يبعد المفسر عن الشطط والزلل، وإعمال العقل فى أمر قد بين الله مراده فيه.

٢- التفسير الموضوعى يعتبر بحق الزاد للدعوة والدعاة فهو يعين الدعاة على نشر هدى الله بين الأمم وخاصة فى عصرنا الحاضر.

٣- يستطيع الباحث أن يلم بأطراف أى موضوع عن طريق التفسير الموضوعى وهو أمر يحتاج إليه كل باحث فى الدراسات القرآنية بل ويحتاج إليه المحاضر والخطيب والفقيه والمؤرخ"[٣].

هذا "وتتلخص فائدة التفسير الموضوعى فى التذكر والإعتبار، ومعرفة هداية الله فى العقائد والعبادات، والمعاملات والأخلاق ليفوز الأفراد والجماعات بخيرى الدنيا والآخرة"[٤].

---

[١] نحو القرآن صـ ٨٩.

[٢] تارخ التفسير ومناهج المفسرين صـ ٢٠ ، د / على حسن العوضى ، ط دار الإعتصام – القاهرة بدون.

[٣] التفسير الموضوعى للقرآن الكريم صـ ٥٥ .

[٤] من أراد أن يستزيد فى موضوع التفسير بين الماضى والحاضر فليراجع كتاب د / عبد الله شحاته صـ ٥٤ ط دار غريب للطباعة سنة ٢٠٠٠ م.

التمهيد

obeikandl.com

تعريف الشقاء

من المناسب قبل السير فى موضوع الدراسة، تقديم بيان حول المفردات التى تمثل عنوان الرسالة، ويسميه الباحثون تحديد المصطلحات والمفاهيم، و حيث إن موضوع الرسالة هو "الشقاء أسبابه ومظاهره وطرق علاجه فى ضوء القرآن الكريم" فإن أهم الألفاظ حاجة إلى تحديد معناه وبيان مفهومه هو لفظ "الشقاء".

و لما كان كل لفظ منطوق به يحمل من المعانى الكثير ، فمن المناسب تناول هذا اللفظ فى كلٍ من اللغه و الإصطلاح ، وسيكون ذلك على النحو التالى:

الشقـاء

المعلوم أن اللغة هى أثواب المعانى التى تظهر فيها ، و بالتالى فلابد من التعرف على هذا المعنى فى اللغة أولاً ثم فى الإصطلاح ثانياً.

أولاً- فى اللغـة :

وردت مادة الكلمه ش- ق- و على معانٍ كثيره من أبرزها:

(١) التعاسـة:

"التى لا يرجى من ورائها خير ، ولا يطمئن أحد إلى زوالها ، يدل على ذلك قوله تعالى حكاية عن أهل النار: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾[١]. ومن ثم فكل شقى تعيس"[٢] و كانت العرب تقول على كل شقى تعيس ، حتى صار هذا الوصف ملازماً لصاحبه لا يفترق عنه[٣].

(٢) التعـب و شـدة العـناء : " تقول العرب شَقِيَ فلان بمعنى تَعِسَ، وساءت حالته، واشتد تعبه، وطال عناؤه"[٤] ويستدل على ذلك بقوله تعالى:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾[٥] والمعنى: أن أصحاب الشقاوة عندما يلقى بهم فى النار يقع عليهم التعب ، و يشتد العناء حتى أنهم يسعون إلى طلب المعونه و أنَّى لهم ذلك.

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١٠٦

(٢) المعجم الوجيز، باب الشين صـ ٣٤٨ ، ط وزارة التربيه والتعليم ٢٠٠٢م.

(٣) وهذا من الأوصاف التى تقبل التحول ، فهى أوصاف عارضه و ليست لازمه إلا من قضى الله عليه بأبديـة الشقاء و هم أهل النار. راجع للعلامه الباجورى ، حاشية الباجورى على شرح السـلم صـ ٨٧ المطبعـة العربية ١٩٣٨م.

(٤) الفيروزآبادى ،القاموس المحيط ، باب الواو- فصل الشين وما يثالثهما جـ٤ صـ ٣٥١ ، ط دار الكتـاب العربى – بيروت – بدون.

(٥) سورة هود الآية ١٠٦

(٣) **الضـــلال البعـيد**:

"قالت العرب: فلان شقى فَضَلَّ عن الطريق، وبَعُدَ فلا يدركه منج"[١] ويستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[٢]. و المعنى: أن الشقى هو الضال الذى لم يستجب لأوامر الله تعالى، وخرج عن كل ما شَرَعَ الله، وبالتالى فقد صار من جنس الأشقياء الذين يقع عليهم غضب الله تعالى، ويلاقون سوء المنقلب.

(٤) **الحالـة السيئة** :

ذكرت المصادر العربيه أن الشقى هو "ذو الحاله السيئة، لأنه بشقاوته خرج عن الأصل"[٣] الذى عليه عامة خلق الله تعالى ، من إلتزام الأوامر، واجتناب النواهى. "ويستدل لهذا المعنى بقول الزجاج[٤]: شاقاه فصار فى حالة لايرجى البرء منها، وقد يستأنس لذلك المعنى لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[٥].

والمعنى: أنى كنت مستجاب الدعوة ، فلم يقع لى شقاء بها ، كما يفهم من سياق الآية أن المراد: مَنْ دعاك مخلصاً ، فقد وحدكَ و عبدكَ ، ولم تكن حالته سيئه ، و من ثم صار سعيداً ، و لم يكن شقياً." [٦]

(٥) **زوال الأعراض الطيبه**:

"تقول العرب فلان تعيس بمعنى زالت عنه الأعراض الطيبة ويستأنس له بقوله ﷺ (الشقى من شقى فى بطن أمه) [٧] و المعنى: من قدَّر الله عليه فى أصل خلقته أن يكون شقياً، فهو الشقى على الحقيقة." [٨] و من ثمَّ فقد يكون الشقاء عارضاً لصاحبه يقع عليه بما كسبت يداه، وهو شقاء الدنيا والآخرة ، و قد يكون شقاءً مما هو مسجل عليه فى القدر كما جاء به الحديث.

---

(١) القطر المحيط للمعلم بطرس البستانى جـ ١ صـ ١٠٦٠-١٠٦٢، دار النشر مكتبة لبنان- بيروت ١٨٦٩م.

(٢) سورة هود الآية١٠٥

(٣) العلامه ابن منظور لسان العرب ، جـ ٤ باب الشين صـ ٢٣٠٤ ، ط بيروت ١٣٧٥هـ - ١٩٦٥م.

(٤) هو الأمام أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى الزجاج البغدادى نحوى زمانه ، له تآليف كثيرة منها كتاب(معانى القرآن) ،(العروض) ،(الأشتقاق) ، ت ٣١١ هـ " سير أعلام النبلاء جـ١٤/٣٦٠ للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ت٧٤٨ هـ،ط دار الفكر،أولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م."

(٥) سورة مريم الآية ٤

(٦) العلامة ابن منظور ، لسان العرب جـ٤ باب الشين صـ ٢٣٠٤.

(٧) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه - كتاب القدر- باب كيفية خلق الآدمى فى بطن أمه وكتابة رزقه و أجله و عمله (٢/ ١١١٨رقم ٦٨٩٦) ، و ابن ماجه المقدمة - باب اجتناب البدع و الجدل - (١/١٨رقم ٤٦) من طريق أبى اسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود.

(٨) العلامة ابن منظور ، لسان العرب جـ٤ باب الشين صـ ٢٣٠٤.

(٦) الشـــدة و العســر:

ذكرت المصادر العربية أن الشقاء هو الشدة والعسر ، حيث يحتاجان إلى بذل العناء فى مواجهتهما، ولذا يقال الشقاء الشدة و العسر ، و منه قول الزاجر[١]

إذا يُشاقِي الصَّـــابرات لَمْ يَرِثْ

يَكادُ مِنْ ضَعْفِ الْقُوَى لاَ يَنْبَعِثْ[٢]

و المعنى: أنه لشقاوته وقع فى شدة و عسر لم يتمكن من الخروج

(٧) الظهور و المباينه :

تقول العرب: " شقأ ناب البعير، يَشْقَأ بمعنى طلع وظهر وكشف عن نفسه فصار مبايناً لغيره."[٣] فكل من يخرج عن القاعدة التى شرعها الله تعالى يكون شقياً ومن ثم فالشقاء بالمعنى اللغوى: هو الخروج على ما أمر الله عباده الإلتزام به.

من جملة ما سبق : اتضح أن معانى الشقاء فى اللغة العربية متعددة ، تحتاج إلى وجود تعريف مشترك يجمع بينها على تلك الناحية ، و يعبر تعبيراً دقيقاً عن وجود الباحث فى هذا الجانب. **فما هو ؟**

تعريف الباحث :

الشقـــاء: هو مايقع فيه الإنسان من تعب وعسر يجعل حالته سيئة، ويظهره عن غيره ظهوراً فيه التعاسة، حتى يقع فى الضلال البعيد، وتبقى تلك الأعراض مصاحبة له فى الدنيا وقد تصحبه فى الآخرة إذا كان من أهلها أو مستحقاً لها.

ثانيـاً- فى الإصطـلام :

الإصطلاح هو: اتفاق جماعة فى علمٍ من العلوم، أو فنٍ من الفنون، على استخدام بعض الألفاظ، للدلالة على المعنى الذى يريدون.

يقول **الشيخ الجرجانى** : الإصطلاح عبارة عن اتفاق قومٍ على تسمية الشىء باسم ما ينقل عن موضعه الأول لمناسبةٍ بينهما[٤].

---

[١] الزاجر: هو من ينظم قريباً من نظم الشعراء ، و ليس فى الأصل بشاعر ، و لذا يقال على الشاعر ناظم ، و على الآخر راجز.

[٢] العلامة ابن منظور ، لسان العرب جـ٤ باب الشين صـ ٢٣٠٤.

[٣] العلامة ابن فارس،معجم مقاييس اللغة جـ٣،باب الشين صـ٢٠٢ـ الطبعة الثانيه ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

[٤] السيد الشريف الجرجانى ، التعريفات ، باب الألف صـ ٢٢ ط مصطفى الحلبى ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م.

ومن ثم فلكل قومٍ إصطلاحاتهم الخاصة بهم، ولا يمكن أن يشاققهم فيها أحد وقديماً قيل: لا مشاحة فى الإصطلاح، ومعناه: لا يقع التنازع مع قوم استقر عندهم إطلاق لفظ على معنى مرادٍ عندهم ، وإن لم يكن مراد عند غيرهم.

وحيث إن هذه الدراسة متعلقة بالتفسير فمن المناسب أن يتقدم إصطلاح المفسرين غيرهم.

ولما كانت مدارس التفسير متنوعة، فسأحاول اقتناص بعض التعريفات الإصطلاحية طبقاً للإتجاهات التفسيرية التى تعبر عن المدارس المعنية بكتاب الله تعالى وسيكون ذلك على النحو التالى :

يذهب **العلامة الطبرى:** إلى أن الشقاوة حالٌ يوصف بها من يعانى التنفس الضيق، والحركة القليلة، والألم الشديد، نظراً لم قدمت يداه، يقول: "الشقى هو الذى يجىء يوم القيامة وله علاقة بالنار يخرج بسببها منه شهيق صعب وزفير قاسٍ"[١]

قال تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ وعلى هذا فالشقاوة وصف يتحول مع صاحبه إلى حال تصير ملازمة له. يدل على ذلك: "أن الذين شقوا يكون لهم فى النار أول نهاق الحمار، وهو الزفير، ثم يكون له الشهيق، وهو آخر نهيق الحمار، وفيه صورة تشبيهية تدفع إلى رفض هؤلاء والتخلص منهم، لأن من كان ذلك حاله لا يقدم عليه صاحب عقل سليم" [٢]وعلى هذا فالإمام الطبرى يرى أن الشقاء هو شقاء الآخرة.

أما **العلامة الفخر الرازى:** فإنه يرى أن الشقاء من النعوت التى تلحق أصحابها، وركّز على وجود العلاقة بين الشقاء فى الدنيا والشقاء فى الآخرة، وبيّن أن الشقى فى دار الدنيا هو الذى يمارس الخطأ، ويصرّ عليه متجاهلاً تعاليم الله ﷻ، ومن ثم يكون موقفه فى الآخرة هو موقف المنتظر النتيجة، وما دام قد شقى فى دار الدنيا حيث انطلق على هواه، فإن النتيجة المنتظرة هى العذاب فى الآخرة.

ويقرر الإمام الرازى: أن الدليل القاطع قد استقر على أن الشقاء يلاقيهم جزاء أعمالهم ويصوره من خلال ما نقله عن أهل العلم ناسباً إلى الإمام الليث صورة العذاب فى النار بأن الزفير: هو أن يملأ الرجل صدره حال كونه فى الغم الشديد من النفس، ثم يحبسه ولم يخرجه، ثم يأتى الشهيق حيث يخرج ذلك النفس.

---

[١] أبو جعفر بن محمدبن جرير بن يزيد الطبرى ت ٣١٠ هـ ، جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ١٢ صـ ٦٩ ط دار الكتب – بدون

[٢] المرجع السابق والآية ١٠٦ من سورة هود.

كما ينسب للفراء نفس الشقاء الأخروى من حيث التصوير. ثم ينتهى إلى القول إلى أن "الإنسان إذا عظم غمه انحصر روح قلبه فى داخل القلب، فإذا انحصرت الروح، قويت الحرارة وعظمت.

عند ذلك يحتاج الإنسان إلى النَفَس القوى، لأجل أن يستدخل هواءاً كثيراً بارداً حتى يقوى على ترويح تلك الحرارة، فلهذا السبب يعظم فى ذلك الوقت استدخال الهواء فى داخل البدن، وحينئذٍ يرتفع صدره، و ينتفخ جنباه"[١]

ويبدو لى أن الإمام الفخر: قد عالج مسألة الشقاوة فى جانبها البدنى، الجسمانى، القلبى، الروحى. بدليل أن حديثه عن كل من هذين الجانبين، قد جاء مستقلاً على النحو الذى يعبر عن إمكانيات الإمام الفخر التى انفرد بها عن غيره[٢].

ودليل ذلك ما حكاه الفخر نفسه بقوله "ولما كانت الحرارة الغريزية[٣] والروح الحيوانى محصوراً فى داخل القلب، استولت البرودة على الأعضاء الخارجة، فربما عجزت آلات النفس عن دفع ذلك الهواء الكثيرالمستنشق، فيبقى ذلك الهواء الكثير المستنشق، فيبقي ذلك الهواء الكثير منحصراً فى الصدر، ويقرب من أن يختنق الإنسان منه، وحينئذٍ تجتهد الطبيعة[٤] فى إخراج ذلك الهواء.

فعلى قياس قول الأطباء يكون الزفيرهو: استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة فى القلب، بسبب انحصارالروح فيه، ويكون الشهيق هو: إخراج ذلك الهواء عند مجاهدة الطبيعة فى إخراجه وكل من هاتين الحالتين تدل على كرب شديد، وغم عظيم." [٥]

وفى تقديرى أن الشقاء الذى تحدث عنه الفخر الرازى، وقدَّم له مصطلحاً، قد تجاوز به ما كان ثابتاً لدى الكثيرين الذين عقلوا مفرداتهم فى أُطرٍ لغوية لم يبرحوها.

---

(١) العلامة الفخر الرازى ، مفاتيح الغيب جـ ١٢ صـ ٦٣ ط دار إحياء التراث العربى ببيروت – لبنان. ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

(٢) إذ من المعروف أن الإمام الفخر ، كثيراً ما يتناول هذه المسائل فى صور تفصيلية تجتذب القارىء إليها نظراً لربطه هذه المسائل على الجوانب العلمية المختلفة.

(٣) هى الحرارة المتعلقة لكل جسم على حده ، ومن هنا اختلفت درجة حرارة الأجسام.

(٤) يقصد بالطبيعة هنا طبيعة الجسم نفسه ، لما استقر فى الصدر من أن الطبيعة إذا أطلقت ربما فهم من اللفظ أنها ما يحيط بالإنسان من كافة جوانبه ،ويؤمن بها الطبيعيون على أنها الفاعلة أو الخالقة ،وليس الأمر كذلك. لمزيد من التفصيل راجع لإدوارد هومز الفيزياء والميكروفيزياء صـ ٤٣ ترجمة ناهد صابر سلسلة عاد المعرفة ١٩٧٦م.

(٥) العلامة الرازى ، مفاتيح الغيب جـ ١٢ صـ ٦٣.

ولعله قد استفاد ذلك مما نقل عن ابن عباس[١] – رضى الله عنهما – فيمايتعلق بالزفير والشهيق، وتحويل ذلك من مجرد مفردات تدل علىآلام حسية إلى جامع بين الحسى والعقلى والمعنى فيقول: "يريد ندامة كبيرة ونفساً عالية وبكاءً لا ينقطع وحزناً لا يندفع. "[٢]

وأما **العلامـــة القرطبـــى**: فإنه يتحدث عن نوع من وقعت عليه الشقاوة، ويقرر أنها تكون فى الأنفس، كما تكون فى الأجساد التى تعبر عن بنى الإنسان، ويكون استخدامه للفظ الأنفس شاملاً للجن، باعتبارها أرواحاً غير مرئية، يدل على ذلك قوله "فمن الأنفس والناس شقى كتبت عليه الشقاوة فلم يبرحها. [٣]"

من ثم تبين أن الشقاء والشقاوة، قد يتعلق كل منهما بالمعيشة التى ترتبط فيها الحياة اليومية، وقد يتعلق بالآخرة التى إليها مرد الناس جميعاً ويوضح القرطبى طبيعة هذه الشقاوة التى تلازم صاحبها فى الآخرة ويصفها "بأنها صوت يخرج من جوف صاحبه ممتلأ بالغم، فيخرج بالنفس، وهو معنى الزفير، ثم يأتى الشهيق ليرد ذات الغم إلى جوف داخل النفس، فتزداد حزناً على حزن وشدة على شدة دليله قول لبيد الشاعر:

فمـــنـــهم سعيـــدٌ آخذ بنصيـــبِه ⁂ ومنـــهم شقـــىٌ بالمعيـــشةِ قانـــع "[٤]

ويعرف **الشيخ /السعدى** الشقاء بأنه: "الكفر بالله والتكذيب برسله وعصيان أمره ويعرِّف الأشقياء بأنهم: الذين كفروا بالله وكذبوا رسله وعصو أمره. [٥]

وهذا التعريف ينصب على الشقاء فى الدنيا، حيث إنه قائم على ثلاثة أمور هى: الكفر والتكذيب والعصيان، وكلها تقع فى دار الدنيا، وإن كان المترتب عليها لا يكون إلاَّ فى الآخرة.

أما **صاحب المنار**: فيقرر "أن الشقاوة تتمثل فى الهم والكرب، إذا امتد واشتد، وحينئذٍ يسمع له صوت، كأنه الزفير الذى يجىء معه البكاء إذا اشتد تردده فى الصدر، وارتفع به الصوت حيث يسمى شهيقاً." [٦]

---

[١] هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هشام القرشى ابن عم النبى ﷺ دعا له النبىﷺ بالحكمـــة ، فكـــان يقال له حبر الأمة ، والبحر ، لكثرة علمه وكان يقال له أيضاً ترجمان القرآن ، توفى بالطائف سنة ٦٨ هـــ (الإصابة ٢ /٣٢٢ ، والتهذيب ٥/ ٢٤٢ .

[٢] العلامة الرازى ، مفاتيح الغيب جـــ ١٢ صـــ ٦٤ .

[٣] العلامة القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن جـــ ٩ صـــ ٩٨ ط الشعب – القاهرة – بدون.

[٤] المرجع السابق والقانع : بمعنى الراضى ، لأنه يرضى بما يُعطَى قل أو كثر ، ويقبله ولا يـــرده . انظـــر مختار الصحاح صـــ ٥٥٣ تأليف محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى ط دار الكتاب العربـــى بيـــروت – لبنان ١٤٠١هـــ ١٩٨١م.

[٥] الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ، تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كـــلام المنـــان صـــــ ٤١٠ ط دار الحديث بالقاهرة٢٠٠٢م.

[٦] الشيخ رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار جـــ١٢ صـــ١٦٠

وينقل عن **الإمام محمد عبده** [١] "أن الشقاوة هى سريان الألم فى أرواح غير المؤمنين، من تذكار الماضى، وبالتالى تزداد الآلام فى صدورهم أكثر من غيرهم، حتى إنهم ليسمع لهم آلام شديدة، وأصوات قاسية"[٢] وعلى هذا فهو يعتبر الشقاوة ذات اتجاهات بعضها يجىء على البدن، وبعضها يجىء على الروح والوجدان أو بعضها يجىء على الناحية الحقيقية، والآخر يجىء على ناحية ضرب الأمثال، ولكل وجهة هو موليها.

ويذهب الشيخ/ **سيد قطب** إلى أن الشقاء: هو ما كان "ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقاً فى المتاع، لأن هذا المتاع هو ذاته شقوة فى الدنيا، وشقوة فى الآخرة، وما من متاع حرام إلاَّ وله غصة تعقبه، وعقابيل[٣] تتبعه، وما يضل الإنسان عن هدى الله إلاَّ ويتخبط فى القلق والحيرة، والإندفاع من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يتوازن فى خطاه." [٤]

والواضح أن هذا التعريف للشقاء، قد ارتبط بأسبابه، ولذا فهو من التعاريف ذات السببية[٥].

كما أنه ركز على النتائج، فيدخل فى نطاق التعاريف الغائية[٦]، وهو شأن صاحب التفسير الذى نأخذ منه.

بدليل قوله: "والشقاء قرين التخبط، ولوكان فى المرتع الممرع[٧] ثم الشقوة الكبرى فى دار البقاء[٨]، ومن اتبع هدى الله فهو فى نجاة من الضلال والشقاء فى الأرض[٩] وفى ذلك عوض عن الفردوس المفقود[١٠] حتى يؤوب إليه فى اليوم الموعود. [١١]

---

[١] هو محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركانى ، مفتى الديار المصرية ، من كبار رجال الإصلاح والتجديد فى الإسلام ، ولد بمصر ونشأ فى محلة مصر بالبحيرة بمصر ت ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ " الأعلام للزركلى ٢٥٢ " .

[٢] تفسير المنار جـ١٢ صـ١٦٠.

[٣] العَقيب : كل شىء يأتى بعد شىء ويتلوه ، المعجم الوسيط ٢/ ٧٣٦.

[٤] الأستاذ/ سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، جـ١٦ صـ٢٣٥٥ ط دار الشروق الطبعة السادسة عشرة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

[٥] وهو تعريف يقوم على الإرتباط بالأسباب ، فيكون كل جزء من أجزاء التعريف بمثابة سبب من أسبابه.

[٦] هو التعريف الذى ترتبط أجزائه بنتائجه ، ومن ثم فكلٌ من التعريف السببى والغائى يعتبر من التعاريف العربية ، وليس من التعاريف الذاتية .راجع للدكتور / محمد شمس الدين إبراهيم السكندرى ، تيسير القواعد المنطقية صـ ٣٨ ، الطبعة الأولى ١٩٦٣م دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

[٧] الممرع : الخصيب المُكلىء ، انظر المعجم الوسيط ٢ / ٨٩٨.

[٨] هذا الإستعمال يطلق على المتدينين على الدار الآخرة ، حيث يستقر أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار ، فهى دار البقاء ودار القرار أيضاً ، كما أنها دار الثواب والعقاب.

[٩] وهذا يدل عليه قول الله تعالى : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ سورة طه الآية ١٢٣.

[١٠] هذا الإستخدام اللغوى من التعبيرات الأدبية ، حيث يطلقها الأدباء على ما يظن أن فيه النعيم الذى لا ينقطع ، مع استحالة ذلك فى دار الدنيا ، لأنها لا تدوم ، وبالتالى يطلقون على تلك المتع اسم الفردوس المفقود. راجع للدكتور / عثمان سالم ، شرح الكوميديا الإلهية جـ الفردوس صـ ١٧٣ ط كركوك ١٩٦٦م ، علماً بأن الكوميديا الإلهية كتبها الأديب الإيطالى دانتى أليجييرى ، وهى ثلاثة أجزاء المطهر ، والجحيم ثم الفردوس.

[١١] الأستاذ / سيد قطب ، فى ظلال القرآن الرابع جـ ١٦ صـ ٢٣٥٥.

ويلاحظ أن الشقاء فى مفهوم صاحب الظلال يشمل ما يقع لأهل الفساد فى الدنيا، وما يلاقيهم فى الآخرة، وهم بين الأمرين فى شقاء، بما يوحى للقارىء، أنه أخذ عذاب القبر واسطة بين الأمرين، ودل عليه بإشارة خفية لا يمكن أن تغفلها عين العقل على أساس أن القبر أول منازل الآخرة، فمن كان فى شقاء وضلال يصاحبانه فى دار الدنيا، فإنه يلاقيهما بمجرد دخوله قبره ،يدل على ذلك قوله ﷺ: (القبر إماروضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار). [٣]

وقد أشار إلى أسباب الشقاء، كما ألمح إلى مظاهره فى دار الدنيا وفى الآخرة أيضاً، حيث إنه فى دار الدنيا يقع له التخبط.

وفى الآخرة تقع له التعاسة التى لا عوض عنهاولا تفريج لها. بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[٤]

مما سبق اتضح أن: المفسرين كانت لهم مجهودات كثيرة فى تعريف الشقاء من الناحية الإصطلاحية، ومن الصواب القول: بأن مجهوداتهم لم تنقطع، لأنهم وقفوا أنفسهم لخدمة كتاب الله تعالى، ومن كان ذلك شأنه، فإن حاله تستمر معه على نفس الوتيرة من غير انقطاع.

مما سلف ذكره حول التعريفات الإصطلاحية للشقاوة: تبين أنها تجمع بين أمور الدنيا والآخرة، كما توضح العلاقة القائمة، وفى نفس الوقت فإنها قد أشارت إلى بعض الأسباب والمظاهر، كما ربطت بينها جميعاً، لكن تبقى نقطة مهمة وهى دور الدراسة فى استنباط تعريف إصطلاحى للشقاء وسيكون على النحو التالى:

تعريف الدراسة:

الشقاء هو: حالة تصيب المرء وتصاحبه بما فيها من غمٍ وكرب وتعاسة، بحيث تظهر آثار هذه الحال على صاحبها فى سلوكياته العملية، والقلبية والروحية، بما يجعله إنساناً غير مقبول بين الجماعة ذات الإتجاه الصحيح ومن يوصف بها سمى شقياً.

... والكثير يسير فى هذه الدنيا يبحث عن الجادة، وينشد الطريق، ويسرع نحو السعادة.. ياتـــرى هل أخطأ الطريق؟ وأضاع العلامة؟

---

(١) هذا الإستخدام اللغوى من التعبيرات الأدبية ، حيث يطلقها الأدباء على ما يظن أن فيه النعيم الذى لا ينقطع ، مع استحالة ذلك فى دار الدنيا ، لأنها لا تدوم ، وبالتالى يطلقون على تلك المتع اسم الفردوس المفقود. راجع للدكتور / عثمان سالم ، شرح الكوميديا الإلهية جـ الفردوس صـ ١٧٣ ط كركوك ١٩٦٦م ، علماً بأن الكوميديا الإلهية كتبها الأديب الإيطالى دانتى أليجييرى ، وهى ثلاثة أجزاء المطهر ، والجحيم ثم الفردوس.

(٢) الأستاذ / سيد قطب ، فى ظلال القرآن الرابع جـ ١٦ صـ ٢٣٥٥.

(٣) أخرجه الترمذى –كتاب الذبائح– أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ رقم٢٤٦.

(٤) سورة طه الآية ١٢٤.

نبذة عن السعادة :

مفهوم السعادة: مما لا ريب فيه أن السعادة مطلب جليل، وغرض هادف نبيل، تتشوق إليه النفوس، وتحن إليه الأفئدة، فالسعادة ضالة كل إنسان وغاية يرجوها كل عاقل لانفسه فقط بل لنفسه ولكل من تحويه شفقته ويهواه فؤاده، فما هى هذه السعادة المطلوبة، والضالة المنشودة؟.

فالسعادة هى جنة الأحلام التى ينشدها كل بشر، من الفيلسوف فى قمة تفكيره وتجريده، إلى العامى فى قاع سذاجته وبساطته، ومن الملك فى قصره المشيد، إلى الصعلوك فى كوخه الصغير.

لكن السؤال الذى حيَّر الناس من قديم هو **أين السعادة ؟**

لقد طلبها الكثيرون فى غير موضعها، فعادوا كما يعود طالب اللؤلؤ فى الصحراء، صفر اليدين، مجهود البدن، خائب الرجاء!!

أجل جَّرب الناس فى شتى العصور أنواع المتع المادية، وصنوف الشهوات الحسية فما وجدوها وحدها تحقق السعادة أبداً، وربما زادتهم مع كل جديد منها هماً جديداً.

ويبقى السؤال محيراً: ما السعادة؟ وما الطريق إليها؟.

سؤال حير أذهان الفلاسفة قديماً وحديثاً، فمنهم من توهم أن السعادة الحقيقية فى اللذة البدنية، ومنهم من قال هى فى التأمل والحكمة، ومنهم من قال أن السعادة لا تكون إلاَّ فى طاعة الله ﷻ، والرضا بأمره ونهيه وقضائه وقدره، ومنهم من وقف عند السعادة الدنيوية، ومنهم من وقف عند السعادة الأخروية.

فما هى السعادة التى يسعى إليها كل إنسان؟

"يزعم" أرستيب" أن اللذة هى السعادة وهى الخير الأوحد، وأننا حينما نرغب فى المعرفة والثقافة، وحتى فى الفضيلة، فإننا نرغب فيها باعتبارها وسائط لا غايات، نصل عن طريقها إلى اللذة." [1]

"وذهب السوفسطائيون سابقاً إلى أن مبادىء الأخلاق السامية إنما هى خدعة اخترعها الأقوياء للسيطرة على الضعفاء، ومن هنار فالسعادة عندهم هى إشباع الشهوات وتحقيق اللذات بصرف النظر عن الفضيلة والرزيلة، وقد رأينا سقراط وهو يناقشهم يؤكد أن هذا الفهم نابع من

---

[1] فلسفة اللذة والألم للأستاذ / إسماعيل مظهر صـ ٩٢ ، القاهرة ١٩٣٦م.

جهلهم بمعنى الفضيلة، وماهية الرزيلة، ومن هنا قال بأن الفضيلة علم، والرزيلة جهل، وجاء أفلاطون فقال :

إن السعادة تكون فى النظام، والمواءمة بين مطالب البدن، ومطلب الروح وفى الإعتدال والتوسط فى كل شيء، وليست اللذة بإطلاق هى التى تحقق السعادة، ولا الألم بإطلاق هو الذى يحقق الشقاوة فمن اللذات ما هو حسن ونافع، ومنها ما هو ردىء وضار، وإن من الألم ما هو حسن ونافع، كتعاطى الدواء وتحمل العلاج." [١]

وذهبت مدرسة الأبيقوريين إلى أن مبدأ السعادة أيضاً: هو اللذة المطلقة فلقد أقر أبيقور بمبدأ اللذة، بوصفه أساس الطبيعة الإنسانية وقال نحن نجعل من اللذة مبدأ السعادة وغاياتها، إنها أول خير نعرفه مغروز فى طبيعتنا، وهو مبدأ كل قراراتنا وشهواتنا، وكراهيتنا، وإليها نسعى دون انقطاع وفى كل شيء، العاطفة هى القاعدة التى تستخدم فى قياس الخير".[٢]

ويقول **طاليس:** "فالطبائع العامية الغليظة، ترى السعادة هى اللذة، ومن أجل هذا لا تحب إلاَّ العيشة فى ضروب الإستمتاع المادى، ذلك فى الحقيقة أنه لا يوجد إلاَّ ثلاث صنوف من المعيشة، يمكن على الخصوص تمييزها.

أولها: هذه المعيشة التى أشرنا إليها، ثم المعيشة السياسية أو العمومية وأخيراً العيشة التأملية أو العقلية، وإن كثيراً من الناس على ما يظهر، هم على الحقيقة عبيد يختارون بمحض ذوقهم عيشة البهائم وأن ما يعطيهم فى ذلك بعض الحق، يبرر لهم فعلهم فيما يظهر هو أن العدد الأكبر من أولئك الذين لهم سلطان ولا ينفقون به إلى أن يسلموا أنفسهم إلى الإفراطات ." [٣]

ويقول **د/ ناصر العمر:** "السعادة هى ذلك الشعور المستمر بالغبطة، والطمأنينة، والأريحية، والبهجة، وهذا الشعور للعبد يأتى نتيجة الإحساس الدائم، بخيرية الذات، وخيرية الحياة وهذا هو المهم وخيرية المصير. "[٤]

ويقول **د/ سعد الدين صالح :** معلقاً على "خيرية الذات": هى الإحساس والشعور بآداء الواجب، وفعل الخير واجتناب الشر وأما خيرية الحياة: "هى الفهم العميق للغاية من الحياة، وأنها ليست خالدة ولا مستقرة، بل هى مرحلة، امتحان واختباروابتلاء.

أما خيرية المصير: فهى مترتبة على خيرية الذات وخيرية الحياة، فحينما، خُيِّر ألاَّ يفعل إلاَّ الخير، وينظر إلى الدنيا كمعبر إلى الآخرة، لا شك أنه يشعر بخيرية المستقبل.

---

[١] القضايا الفلسفية فى العقيدة الإسلامية للدكتور/ سعد الدين صالح صـ ٢٩١ ط جامعة الإمارات ١٩٨٠م.

[٢] الأخلاق النظرية لعبد الرحمن بدوى صـ ٢٠٦ ط القاهرة – بدون. وقضايا فلسفية صـ ٢٤٣.

[٣] قضايا فلسفية صـ٢٩٣

[٤] السعادة بين الوهم والحقيقة صـ٦ للدكتور / ناصر العمر ، ط دار أم القرى ١٩٩٧م.

والمصير الدائم، لقوله تعالى﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[١] هذه هى أركان السعادة الحقيقية غير أن من الناس من يتوهم السعادة فى أمور أخرى." [٢]

فالناس فى بيان معنى السعادة أفهام كثيرة لا يلتقى غالبها مع الحقيقة، ولا يوافق الواقع بل هى أفهام تعبر عن آمال والأمانى يود أصحابها تحقيقها وفق رغباتهم ويعدون فى تحقيق هذه الآمال وأمانى سعادتهم العاجلة والآجلة، فالفقير المعدم يرى السعادة فى ثروة ينالها، والمريض يطلب السعادة فى عافية يحصل عليها، والخائف يجد نفسه فى الأمن والسلامة والغنى ينشد السعادة فى الجاه العريض والسلطان الواسع والشاب يرى سعادته فى زوجة جميلة غنية وما إلى ذلك من كل ما تميل إليه النفوس من المتع واللذائذ الفانية التى يعدها دهماء الناس لذة ومتاعاً ويظنون فى هذه سعادة.

لا. لا فرغبات الناس مختلفة وغاياتهم متشعبة وكل يحدد معنى السعادة وفق رغبته، حسب غايته وليس فى هذا بيان لحقيقة السعادة ولا تعريف بمعنى السعادة .

فالناس لا يستطيعون لبيان حقيقتها سبيلاً إنما السبيل إلى بيانها والتعريف بها حقاً هو الدين الإسلامى الحنيف وتشريع الله فى دستوره القويم وبما أنَّا مسلمون ومرتبطون بتعاليم هذا الدين، عليها فى كل الشئون نعول، وعنها فى كل أعمالنا نصدر فأنها جماع الخير وينبوع الفضل على البشرية جمعاء، فعلينا أن نرجع إلى الإسلام ونستفسره فى تحديد معنى السعادة؟ ونسأله هل المال سعادة؟ وهل الأولاد سعادة؟ وهل الزوجة الجميلة الغنية سعادة؟ وهل الجاه العريض والسلطان الواسع سعادة؟ وهل التبسط فى المأكل والمشرب سعادة؟

وها هو ذا الإسلام يجيب قائلاً ليس كل المال سعادة وليس كل الولد سعادة قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.[٣]

وما حادثة ثعلبة بن حاطب الذى أطغاه ماله حتى أخرجه من حظيرة الإسلام والمسلمين ببعيدة عن الأذهان تلك الحادثة التى نوه الله عنها بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَلَمَّا آتَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُم

---

[١] سورة الإسراء الآية ١٩.

[٢] قضايا فلسفية صـــ٢٩٤.

[٣] سورة التغابن الآية ١٥.

مُعْرِضُونَ ۞ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۞ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[١]

وليست الزوجة الغنية الجميلة سعادة بل قد تكون نكبة لذا يقول الرسول ﷺ (ما تركت فتنة بعدى أضر على الرجال من النساء). [٢] وكيف يكون التبسيط فى المأكل والمشرب سعادة و الرسول ﷺ يقول: (ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح) [٣]

ولكى لا يترك القرآن الكريم حجة صاحب الإتجاه المادى فى الحياة فى الإعتزاز بالأموال والأولاد، تأخذ الطريق إلى نهايته فى الحجية كسبب للإعتزاز والغرور وقف ليقرر حقيقته:

الأولى: أن المال فى كثرته وقلته هبه من الله تعالى للإنسان، ولا شأن له بالإيمان والكفر.. لاشأن له بالإتجاه الصحيح فى الحياة أو الخاطىء فيها ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٤]فهم لا يعلمون بسبب الغرور بالمال وقوة تأثيره فى الحياة على الإدراك والحكم.

الثانية: أنه لا صلة بالأموال والأولاد برضاء الله تعالى عمن تكون له أموال وأولاد فالأموال والأولاد بمعزل تماماً عن مقياس الرضاعند الله تعالى.

ومقياسه الحقيقى يتمثل فقط فى الإيمان، والعمل الصالح المستقيم، قال تعالى ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾.[٥]

وبتقرير هاتين الحقيقتين أصبح لا يستند صاحب الإتجاه المادى فى الحياة فى غروره واعتزازه بالأموال والأولاد إلى حجة واقعية. فما عنده اليوم من أموال قد ينتقل إلى غيره غداً، وماله من أولاد الآن قد يسيئون إليه بعد وقت من الزمن ويصبحون عليه نقمة بعد أن تصورهم

---

[١] سورة التوبة الآيات ٧٥-٧٨.

[٢] أخرجه البخارى ، كتاب النكاح ، باب ما يتقى من شؤم المرأة ٥٠٩٦.

[٣] رواه الترمذى ، كتاب الزهد ، باب ٣٤ صـ ٤٣ و قال حديث حسن صحيح.

[٤] سورة سبأ الآية ٣٦.

[٥] سورة سبأ الآية ٣٧.

نعمة. والأموال والأولاد إذن ليست من الأمور الذاتية التى تلازم ذات الإنسان فى غده، كما هى له فى يومه ومبعث سرور الإنسان يجب أن يكون فيما هو أبقى، وليس فيما هو متغير ومنقلب.

فالإسلام بهذا يقرر أن متع البدن ولذائذ الحياة ليست هى السعادة، فإن المتعة التى يقطعها سيف الموت واللذة التى يفاجئها التنغيص شيء لا تطمئن إليه النفس العاقلة ولاتركن إليه الشخصية الحازمة.

ومن اعتقد أن هذه المتع الدنيوية سعادة فهو غاش لنفسه، إذ كيف يعد نفسه سعيداً من ينعم بلذائذ الحياة ومتعها وهو بها يحارب ربه ويعاند خالقه. كيف يكون سعيداً من يحصل اللذات ويجرى وراء الشهوات ثم يمتهن بها حمى الشرع ويدرك صرح الحق.. كيف يكون سعياً من تحلل من الإلتزامات الشرعية وعاش عيشة أقرب ما تكون إلى الفوضى والهجمية: كيف يكون سعيداً من أهمل مقتضيات الإخاء وعاث بالفساد فى روابط الأسرة – لا – ليس هذا سعيداً ولكنه الشقى الشريد، فليست السعادة مالاً يجمع، ولا جاهاً يطلب ولا متاعاً تراد.

"فإن أى تفسير للسعادة أو أى تصوير لمعناها يهمل فطرة الإنسان وطبيعة تكوينه، لا يعدو أن يكون محاولة عابثة لا جدوى منها، تدفع الإنسان إلى رحلة شقاء طويل مرير، من أجل الوصول إلى سعادة وهمية لا ظل لها فى دنيا الحقيقة والواقع، ومحاولة كهذه لا تصدر إلاَّ عن جهل مُطْبَق، أو تضليل أو تزوير، بل مغالطة مقصودة، شعت عن نفوس مريضة تنشد الإنحرافات والحقد، وفكرة ملتوية، تلفت عن الصواب، وتحبسها فى قوالب جامدة، من المكابرة والجحود... وصدق الله العظـيم إذ يقول ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾.[١] [٢]

"فكل إنسان فى لذة الحياة يسعى لأن يكون سعيداً، ولكن كثيراً من الناس يخطئون طريقها، ويسعون إلى الشقاء، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، هذا هو وعيد الخسران والشقاء. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾. [٣] [٤]

---

[١] سورة الأنعام الآية ١٤٨.

[٢] المسألة الإجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية صـ٢١١، ٢١٢ باختصار.

[٣] سورة الكهف الآيتان ١٠٣ –١٠٤.

[٤] مجلة المجاهد مقال بعنوان مفهوم السعادة فى الإسلام صـ٩ شهر فبراير ١٩٩٩م.للشـيخ / عبـد اللطيـف عمارة.

وبعد فالسعادة الحقة: هى فى تحقيق التوازن فى حياة الإنسان، بين النزوع المادى والشوق الروحى فيه، وبين حقوقه كفرد، وواجباته تجاه الجماعة، وفى وصل ما بين الإنسان، وبين الكون والحياة من وشائج وأسباب، وفى إدراكه أن هذه الحياة وهى إحدى نعم الله عليه تحتاج منه أن يعطيها من ثمار عقله، وكد عمله ، وفيض روحه.. ومن حقه أن تنعم النعماء شكر، وإذا حلت به الضراء صبر... إن السعادة الكاملة فى طمأنينة النفس، وصفاء القلب، ونقاء الضمير، وملاك ذلك كله وسبيله الوحيد، هو الإسلام الذى أنزله الله الحكيم الخبير، شرعه حق وخيرونور، وتحقق التوازن الكامل بين النزعات الفطرية فى الإنسان بحكمة وإخوة وإحسان فلا تزهق المادة بطغيانها إشراق الروح، ولا تفرق النزعة الروحية ضرورة المادة، بل تكمل إحداها الأخرى فى دقة وإحكام ولا يطغى الفرد على الجماعة معاً، بإخلاص وتآزر وسلام." [١]

وأن من يرى السعادة فى المظاهر الخادعة إنما ينظر للأمور نظرة سطحية ليس فيها نظر ولا عمق فكر، لأن هذه المظاهر قد تكون سبباً فى المتاعب وكثرة المشاكل والمشاغل، وتفتح الباب إلى الفساد وبهذا تسوء الحياة وتسقى ولا تطيب وهاهى ذى حياة المسلمين الأولين فى فجر نهضتهم كانت أسعد وأطيب حياة شهدها التاريخ قديمه وحديثه مع ما كان عليه المسلمون آنذاك من قلة المال عن الدول المعاصرة لهم كالفرس والروم.

لله هذه النفوس الأبية التى ضربت أروع المثل فى العفة والنزاهة والقناعة والرضا، وفى شرف النفس وكرامتها، لم يسلْ لعابها على الدنيا، ولم يبهرها بريق الأضواء، فعملت فى صمت واستقامت على الجادة فى غرة، وهم فى حالة رقيقة على الملوك والسلاطين بدنياهم وطغواهم، ألا فلتكن لنا عبرة بهؤلاء الأماجد، ولنسع جاهدين إلى الثراء الروحى والنفسى، ولنطلب هذا الرزق الأدبى من كل طريق.

علامات السعادة والشقاوة :

"ينشد الإنسان السعادة ويفكر فى الأسباب المؤدية إليها، وتجذبه الكلمات التى تتحدث عنها، والنظريات التى تعالج شئونها... وهو يلج فى طلبها وقد توغل صورها فى البعد والإتساع حتى لا تكاد ترى وتغيب خلف حدود المجهول، فينظر إليها بخياله، ويعيش معها ولكن بأحلامه، وقد تقرب أحياناً وتضيق، وتعظم فى القرب والضيق، حتى يرى الإنسان أنها تكاد تتجسد أمام ناظريه، ويحس بها وكأنها ماثلة بين يديه، ويخال أنه يلمسها ويراها، ويحسب أنها طوع بنانه، وتحت تصرفه وسلطانه، وهو فى الحقيقة يعيش معها ولكن بأوهامه." [٢]

---

[١] المسألة الإجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية صـ٢١٤ـ باختصار.

[٢] المرجع السابق صـ ٢١١.

يقول **الإمام ابن القيم:** "من علامات السعادة والفلاح أن العبد كلما زيد فى علمه زِيْدَ فى تواضعه ورحمته، وكلما زِيْدَ فى عمله زيد فى خوفه وحذره، وكلما زيد فى عمره نقص حرصه، وكلما زِيْدَ فى ماله زِيْدَ فى سخائه ونبله، وكلما زِيْدَ فى قدره وجاهه، زِيْدَ فى قربه من الناس، وقضاء حوائجهم والتواضع لهم.

وعلامات الشقاوة: أنه كلما زِيْدَ فى علمه زِيْدَ فى كبره وتيهه، وكلما زِيْدَ فى عمله زِيْدَ فى فخره واحتقاره للناس، وحسن ظنه بنفسه، وكلما زِيْدَ فى عمره زِيْدَ فى حرصه وكلما زِيْدَ فى ماله زِيْدَ فى بخله وإمساكه، وكلما زِيْدَ فى قدره وجاهه زِيْدَ فى كبره وتيهه، وهذه الأمور ابتلاء من الله وامتحان، يبتلى بها عباده، فيسعد بها أقوام، ويشقى بها أقوام، وكذلك الكرامات، امتحان وابتلاء كالملك والسلطان، والمال قال تعالىعن نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس عنده ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [١] فالنعم ابتلاء من الله يظهر بها شكر الشكور، وكفر الكفور، كما أن المحن بلوى منه سبحانه وتعالى يبتلى بالنعم كما يبتلى بالمصائب قال تعالى﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي۞وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾[٢] أى ليس كل من وسعت عليه وأكرمته ونعمته يكون ذلك إكراماً منى له، ولا كل من ضيقت رزقه وابتليته يكون ذلك إهانة منى له." [٣]

إذن: فكل إنسان فى الحياة ينشد السعادة والأنظار فى معنى السعادة مختلفة، فالبعض يراها فى المال والثراء الذى يوفرله لذيذ الطعام والشراب، وفاخر الملبس والكساء، وناعم الأثاث والرياش، همه جسمه وهيكله، ومعبوده نفسه وشهوته، هؤلاء متفاوتون فى تحقيق هذه الأهداف الذاتية، وهم درجات فيما يملكون من وسائل ويسلكون من سبل، ويجمعهم على اختلاف ألوانهم وتفاوت درجاتهم حب المادة وقصر نظرتهم لحقيقة الحياة الإنسانية.

والبعض الآخر من الناس يرى سعادته فى تحقيق الوجود للعنصر الأهم فى الإنسان وهو عنصر الروح الذى فُضل به على الجنس الحيوانى، فهو يسعى إلى المعرفة بنَهم، ويحب مكارم الأخلاق بشغف، زاد العقل هو همه، وغذاء الروح هو غايته، وصفاء النفس هو شغله، ورقة القلب هى نبض حياته، وهؤلاء الذين يعيشون فى هذا الجو متفاوتون فى مقدار ما يحصلون من لذة، وهم درجات فيما عندهم من رصيد عقلى وأدب نفسى، ويجمعهم على اختلاف ألوانهم وتفاوت درجاتهم كرم الخلق وعشق الكمال وإدراكهم الحق لغاية الحياة.

---

[١] سورة النمل الآية ٤٠.

[٢] سورة الفجر الآيتان ١٥-١٦.

[٣] الفوائد لابن القيم الجوزية صـــ١٨٢.

السعادة فيض ينبع من النفس:

الحياة تتقلب بالناس من يسر إلى عسر، ومن رخاء إلى شدة، ومن فرج إلى ضيق وهكذا، وكل إنسان ينشد السعادة لنفسه بأن يعيش فى يسر دائماً أو فى رخاء مستمر، ولكنها سنة الله بتغير الأحوال، وغاية ما يمكن أن يحظى به الإنسان من هذه المتقابلات هى أن يكون حظه من الخير أوفر، ومدة رخاءه ويسره أطول، ولكن ما السبيل إلى ذلك؟ هذا هو ما أجهد أنفسهم فيه الباحثون قديماً وحديثاً، سواء منهم الإجتماعيون والإقتصاديون والفلاسفة والساسة والحكماء، وأكثر ما اتجه إليه هؤلاء عند البحث هو الجانب المادى فى مظهر أوأكثر من مظاهر الحياة الإقتصادية والإجتماعية، ونسى كثير منهم جانباً مهماً، أو أصلاً كبيراً لابد من تدخله فى تحقيق السعادة للإنسان، وهذا الجانب ليس شيئاً خارجاً عن فكر الإنسان وإحساسه، بل يعيش معه ويصاحبه فى كل لحظة من لحظات عمره وهو النفس.

"فالناس جميعاً مختلفون حول مفهوم السعادة، وإذا استعرضنا حياة الناس على إختلاف طبقاتهم، فإننا نلاحظ أن غاية السعادة عندهم تحصيل واحد من أمور ثلاثة والجمع بينها:

الأمر الأول: هو تحقيق اللذة الحسنة من مأكل ومشرب ومتاع.. وغير ذلك من شهوات النفس وهذه هى غاية السوقة والعامة، والعبيد الذين لا هم لهم إلاَّ تحقيق شهواتهم. وهذا خطأ إذ لا يمكن أن تكون اللذة هى الخير، الأخص للإنسان لأن الإغراق فيها قد يؤدى إلى الهلاك، وبذلك لا تتحقق السعادة، وليس معنى ذلك أن اللذة الحسية شرف بذاتها، فإنها لا شك لازمة للإنسان على أنه لا ينبغى أن ينظر إليها على أنها غاية الغايات التى تطلب لذاتها.

الأمر الثانى: هو تحقيق لذة الشهرة والشرف السياسى وهو مطلب علّـيّة القوم وخيرهم الأقصى وإليها ترجع سعادتهم، ولكن هذا أيضاً ليس بسعادة حقيقية، لأنه يرجع إلى الذين يمنحونه أكثرمن الذين يقبلونه، فكم من سياسى منحه الناس هذا الشرف ثم جردوه منه ومن هنا فلا يصلح أن يكون غاية ذاتية. فالسعادة الحقة هى التى تكون ذاتية فلا تمنح ولا تمنع.

الأمر الثالث: تحقيق الحكمة والتأمل، وهو مطلب الفلاسفة وتلك هى السعادة فى نظر أرسطو من حيث إن وظيفة الإنسان التى امتاز بها عن الحيوان هى العقل، ومن هنا يكون عمل العقل هو الخير بالنسبة للإنسان." [١]

ولنختصر الطريق ولانرجع إلى مذاهب اليونانيين قديماً وفلاسفة أوروبا حديثاً فى بيان ماهية السعادة ومقوماتها، ولنتحدث عن ذلك الجو الإسلامى الصافى ولنستمد أصول البحث من

---

[١] تاريخ الفكر الإسلامى صـ٢١٤ ، مكتبة الإسكندرية – بدون ، ويراجع القضايا د/ سعد الدين صالح صـ٢٩٢ ، ٢٩٣.

الينابيع الطاهرة النقية التى جاء بها الدين أساساً لكل سعادة يحلم بها الأفراد والجماعات، وأول نقطة يبدأ منها البحث هى قول النبى ﷺ (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) [١]

نعم ليس الغنى، وهو أكبر وأهم أسباب السعادة عند أكثر الباحثين هو جمع المال والحصول على الممتلكات النفيسة، ولكنه معنى وراء ذلك كله، وشيء أهم من ذلك كله، وهو غنى النفس، نعم غنى النفس، الذى يعيش به الإنسان سلطاناً لا يذل أحد، ولا يتهافت على أبواب الناس، ولا يمد يده لآخر يستجديه العطاء ويستمنحه.

يقول **د/ القرضاوى:** "السعادة شيء يشعر به الإنسان بين جوانحه، صفاء النفس وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، وراحة الضمير، السعادة شيء نابع من داخل الإنسان ولا يستورد من خارجه. هذه هى السعادة الحقة، السعادة التى لا يمكن لبشر أن يعطيها، ولا يملك أن ينتزعها ممن أوتيها، السعادة التى شعر بنشوتها أحد المؤمنين الصالحين فقال: إننا نعيش فى سعادة لوعلم بها الملوك، لجالدونا عليها بالسيوف." [٢]

نعم: هم فى لذة غامرة بالقناعة والرضا الذى به تسكن النفس ويطمئن القلب ويرتاح الضمير، أما المشغولون بدنياهم فما أكثر همهم وقلقهم، وما أبعدهم عن الراحة حتى فى وثير الفراش.

إن هؤلاء الذين أقبلوا على النفس واستكملوا فضائلها يؤمنون أن الإنسان بنفسه لا بجسمه وأن شرف النفس وكرامتها أغلى ما يعتز به الإنسان العاقل.

إن الشعور باللذة هو تفاعل بين الأعصاب وبين أعراض الحياة، وانطباع تتركه الأحداث على أحاسيس الإنسان، والإنسان وحده هو الذى يتحكم فى تكييف هذا التفاعل، وفى تحديد هذا الإنطباع.

إن النبىﷺ يعلن أن الغاية التى يجب أن تتطلع إليها الآمال هى رضوان الله تعالى، والوسيلة لتحقيق هذه الغاية هى العقيدة الصحيحة التى يكون بها الرجل رجلاً، والعيش الذى يكفى مطالب الحياة ولا يلجيء إلى السؤال، ولا يوقع فى مواقع الحرج، والرضا النفسى والراحة القلبية القانعة التى لا تعرف اللهفة ولا الحرص ولا الشره على ما يفيده الحديث الشريف: (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه) [٣]

---

[١] أخرجه البخارى – كتاب الرقاق – باب الغنى غنى النفس رقم ٦٠٨١، ومسلم – كتاب الزكاة – باب ليس الغنى عن كثرة العرض رقم١٠٥١

[٢] الإيمان والحياة للقرضاوى صـ٨٣-٨٤.

[٣] أخرجه مسلم- كتاب الزكاة- باب في الكفاف والقناعة (١٠٥٤) وابن حبان (٢/ ٤٤٤) والحاكم (١٣٧/٤).

أى فاز وسعد من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه، أمور ثلاثة جعلها رسول الله ﷺ أسساً لفلاح الإنسان، ونجاحه وركائزه لفوزه وسعادته فى الدارين الدنيا والآخرة.

أولها: الإسلام– ثانيها: الرزق الكفاف– ثالثها: القناعة بما آتاه الله. وهى كلمات قصار ولكن تحمل فى طيها المعانى الكبار، التى لا غنى لأى مخلوق عنها ليعيش عيشة راضية، ويحيا حياة طيبة.

وليس حديث النبى ﷺ دعوة إلى الفقر أو ذماً إلى الفقراء أوذماً للغنى، ولكنه دعوة لقناعة النفس، وذم لشرها وتلهفها، فقد يكون الإنسان فقيراً وهو ناعم البال شاعر بلذة الحياة، وقد يكون غنياً ولا يحس للحياة طعماً، وقد يكون واسع الثراء وفى الوقت نفسه راضى النفس مطمئن القلب لا يعتريه هم ولا يقلقه حرص ، فالمال فى كفه وليس فى قلبه.

هذه هى السعادة الحقة، وإليك بيان هذه الأسس وإيضاح هذه الركائز رجاء اتباعها، والعمل على نهجها لنكون من السعداء الآمنين.

أول أساس لهذه السعادة: هو الإسلام بمعناه الشامل لطهارة الظاهر والباطن، وكمال القلب والجوارح، والإسلام فى هدايته التى تناولت كل أطراف الحياة وتشريعاته المنظمة الحكيمة كل لا يتجزأ فى تحقيق الخير الذى تهدف إليه الرسالة السماوية، والذى يعنى بجواهر الأشياء أكثر من عنايته بالظواهر.

فالإسلام سلم لمن دخل فيه، وأمن لمن لاذ به، وحمى لمن احتمى بتعاليمه ومبادئه فإنه مما لا شك فيه أن مبادئه تورث العزة وتعاليمه تكسب الحرية والقوة وأخلاقه تدعم روابط الإخاء بين الناس وتبعث فيهم روح المودة والألفة. ولقد صدق الله إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]

فالإيمان، بالله يعطى قوة الشعور بالإستقرار الذاتى، والمضى فى التضلع بالحياة فى عزم وقوة، وإذا آمن الشخص وخالطت قلبه بشاشة الإيمان، أصبحت الحياة عنده متعة وتفاؤلاً، لا يمل ولا يجزع ولا يتكلف، وإذا دب الملل والتكلف إلى النفس فقدت الحياة بهجتها ورونقها الجميل، وإذا دخلها الإيمان أشرقت مداخلها، وشرح الله القلب بالسعة وعمره بالنور والسكينة والرضا كما يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[2]

---

[1] سورة آل عمران الآية ١٠١.

[2] سورة الفتح الآية ٤.

فالقلوب إذا شرحها الله بالسعة دخلها الخير وعمرت بالمعرفة والنور.. ومن الإيمان تنبعث الخصال الروحية من الحب والإيثار والتضحية وإنكار الذات، وتدعيم هذه الخصال وتجديدها فى المجتمع وأفراده الثقة، ويملأ القلوب بنعمة الحب والفضيلة والخير، فلا ينالها الضعف ولا يلم بها الإنتكاس.

وإذا كان الإيمان بالله تعالى هو مسلك القوة والعزم للمؤمن، فهو كذلك مقياس الرضا والطمأنينة فى قلوب المؤمنين ولا تتحقق سعادة المرء إلاَّ إذا رضى قلبه واطمأنت نفسه، ولا يتم ذلك كله إلاَّ بالإيمان واليقين، فإذا اطمأن القلب بالإيمان شاعت فى النفس العافية وتمت للبدن حركته ولم تعتريه الأمراض التى يسببها الهم والحزن والجهل وعدم الإيمان.

وكما يرتبط إيمان المرء بسعادته الفردية بقوة نفسه وطمأنينة قلبه كذلك يرتبط الإيمان بسعادة المرء فى مجتمعه الذى يعيش فيه. وأقرب مثال لهذا هو بناء مجتمع المؤمنين فى عهد الرسول ﷺ فقد كان مجتمعاً منسجماً منسقاً تجمعه فكره واحدة وهى فكرة الإيمان بالله تعالى. تلك الفكرة التى عقدوا قلوبهم عليها وجعلت منهم مثلاً صحيحاً من الوحدة والتماسك والتجرد من الأغراض الذاتية والمادية ولم تعقهم عوائق التردد والنفاق عن التعاون فيما بينهم والإنسجام الإجتماعى فى محيطهم، وكانت هذه هى السبيل التى قامت عليها الدعوة الإسلامية والإجتماعية، فكان الدين وصدق الإيمان بالله خصلة لها شعب كثيرة تدور حول بناء المجتمع الإسلامى وتحقق سعادته، وليس من شك فى أنه إذا صدق إيمان المرء بالله تعالى وتمكنت فى قلبه معرفته كان لذلك أثره البين فى الأخوة بين المؤمنين والبذل فى سبيلهم والوفاء لهم، وتمام ذلك فى الإنسان سعادة نفسية له، وكرامة عند الله تعالى وعند الناس.

ومن الحق أن الإنسان إذ تجرد وامتحن قلبه ومدى تمكن الإيمان منه فإنه يرى أن السعادة الحقة إنما تتم له إذا تم له الإيمان ومعرفة الله تعالى، فليست السعادة فى الحياة المادية فإن ذلك فى الغالب مقرون بالهموم والحرص، ولكن السعادة كما يلمسها الإنسان فى نفسه لا تتم إلاَّ بأمرين: سعادته الفردية وهذه تكون بطمأنينة نفسه ورضا قلبه وهدوء خاطره. ثم سعادته فى مجتمعه وهذه تكون بسلامة العلاقات بينه وبين الناس بالمحبة والرحمة وذلك كله من الإيمان الذى تخالط بشاشته القلوب فتشيع الطمأنينة فى النفس، وتنبعث الرحمة والمودة للناس، هذه هى السعادة الحقة التى يهبها الله تعالى للمؤمنين الصادقين يكرمهم بها ويرفعهم بها إلى المرتبة الإنسانية الكريمة.

ثانى هذه الأسس: العيش الكفاف، بمعنى أن يكون لدى الإنسان من لوازم الحياة المادية ما يكفى حاجته و يسد خلته فى غير توسع ولا تقصير، والإنسان لا يمكنه أبداً كبشر يعيش على

الأرض، أن ينفصل عن المادة فهى أساس الحياة وركيزة الوجود، ولكن للإنسان جانب آخر لابد منه مع المادة ليحقق الخير والسعادة، وهو الروح، والقليل من المادة مع الكثير من الروح يقوى الأمل فى الوصول إلى السعادة المنشودة أما الكثير من المادة مع القليل من الروح فهو يخيب الآمال ويعود بالإنسان وبالبشرية إلى الوراء.

هذا وليس الزهد فى الدنيا العزوف عنها مطلقاً وعدم العناية بشأن النفس وتهذيبها والملبس وجماله والطعام وجودته والمسكن وحسن تنسيقه وروعة تأسيسه، ولكنه عدم تملك الدنيا له وسيطرتها عليه وهيمنتها على قلبه.

والحق أن الإفراط فى المتع والإستكثار من اللذائذ المادية مدعاة إلى الطغيان الفساد والإفساد، وكذلك الإفتقار الشديد إلى مقومات الحياة المادية يعرِّض الإنسان لكثير من المزالق.

ثالث هذه الأسس: القناعة، والتعفف، والثقة بأن الوضع الذى أراده الله للإنسان خير له من أى وضع يريده هو لنفسه.

فالقناعة إحساس باطنى وتأثر عصبى بحوادث الحياه ومؤثراتها، والإنسان يستطيع أن يتحكم إلى حد كبير فى تكييف هذا الإحساس وتحديد هذا التأثر، وأساسه تربية روحية وسلوك دينى يساعد الإنسان على تقبل أحداث الدنيا بقبول حسن.

ولقد كثرت النصوص فى القرآن الكريم والسنة تلفت نظر الناس إلى العناية بالناحية الروحية والكمالات الأخلاقية، فهى عنوان التقدير ومقياس التفضيل عند الله تعالى قال ﷺ (إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). [١]

وفى حديث رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: (إنَّ الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلاَّ لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه) [٢]

والحديث الشريف يقرر أن الله سبحانه تعالى يعطى المال والثراء ومتعة الحياة الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، فقد تضمن أن يرزق كل كائن حى على وجه الأرض، عقل أم لم يعقل، آمن أم لم يؤمن قال تعالى﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا﴾[٣] ويقول تعالى أيضا: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[٤] وأن متع الدنيا إذا

---

[١] رواه مسلم – كتاب البر والصلة والأدب – باب تحريم ظلم المسلم وخذله ٤ / ١٩٨٦م.

[٢] أخرجه الإمام أحمد١ / ٣٨٧ والحاكم ١ / ٨٨ ، وابن أبى شيبة فى المسند ١(/ ٢٣١ – ٢٣٢) والشاشى (٢ /٣٠٠) والطبرانى فى الكبير (٩ / ٢٠٣) .

[٣] سورة هود الآية ٦.

[٤] سورة محمد الآية ١٢ .

أعطيت لإنسان ما لا تعطى له بسبب إيمانه أو كفره، فهى من الله تعالى، وكما يعطيها ﷻ لمن يشاء، فهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء، وفى بسطه للرزق قد يبسطه بغير حدود يقول ﷻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .[١]

فالرزق ومتع الحياة الدنيا كلها عطاء وحرمان، وسعة وضيقاً لا تتبع الإيمان والكفر، وليست بالتالى عنواناً على القيمة والمنزلة بل أساس القيمة فى التقوى والإيمان وليس فى المال والثراء وجاه الدنيا.

ولكنها ظاهرة المادية فى اتجاه الحياة تأخذ طريقها فى السخرية والإستخفاف بمن لا يملك من الدنيا زينة أو متعة، كما تأخذ الطريق إلى صور أخرى تعبر عنها.

ولكن حقيقة الأمر وواقعه أن الدين والخلق وصفاء النفس واستقامة السلوك هى ثراء كبير لمن يعرف قيمته، وغنى واسع لمن يقدره قدره، لا يمنحه الله تعالى إلا لمن أحبه ورضى عنه، فمن نال حظاً من هذا الغنى الأدبى فقد نال حظاً من رضوان الله تعالى. إنه يشعر بالسعادة الغامرة حتى لو قلت ذات يده، ويحس بلذة الدنيا حتى لو خشن طعامه، وينعم بالراحة والطمأنينة. إن نظرته إلى الحياة بعيدة، وقلبه مشغول بالحياة الباقية الخالدة، هو يمهد لها الطريق بعمله، ويوجه إليها أكرم ما يحرص عليه ويعتز به من إيمان وسلوك.

وإذا كان حظ الإنسان من متعة المادة أساساً لكمال النفس بأداء الواجبات، فإن هذه المتعة المادية لا تحتاج إلى عامل خارجى ينبه إليها، فإن الطبع ينادى بها والغريزة تستحثها وتتطلبها، ولذلك تجىء الآيات متحدثة عن المادة حديث المقرر لواقع الحياة البشرية والطبيعة الإنسانية، ثم تلفت النظر بقوة إلى الإهتمام بالناحية الأدبية والدينية، حتى لا تطغى المادة على الروح، وتتغلب الشهوة على العقل.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٢] وقال سبحانه : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٣] وقال ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [٤]

---

[١] سورة آل عمران الآية ٣٧ .

[٢] سورة آل عمران الآية ١٤.

[٣] سورة الكهف الآية ٤٦.

[٤] سورة النساء الآية ٧٧.

إن غنى النفس بالإيمان بالله تعالى يجعل المؤمن لا يذل ولا يهون، ولا يمارى ولا ينافق، ولا يخدع ولا يغش، ولا يكذب ولا يخون، فتلك الأخلاق المذمومة هى وسيلة الثراء المادى الذى حرص عليه كثير ممن خوت نفوسهم من الإيمان وتجردت من القناعة.

هذه هى الأسس- ولا شك- تدعو إلى تطهير النفس بالعقيدة الصحيحة وتكسبها قوة الإيمان الكامل، كما تدعو إلى التحلى بالأخلاق الفاضلة ومران الأعضاء على الأعمال الصالحة وتزويد العقل بالعلوم النافعة، ولا جرم أن فى هذا كله هدوء النفس وراحة الخاطر ورضا الضمير ورغد العيش ومتعة الحياة الدنيا وضمان النعيم فى الدار الآخرة.

ويمكن أن نقول: بأن الحياة الطيبة إنما تكون فى الرضا بما قسم الله تعالى والطمأنينة للمعيشة فى رحاب ما قدر الله دون سخط ولا جزع ولا يهم بعد ذلك أن تكون الحياة ناعمة رغدة ثرية بالمال حيث قد تكون الحياة طيبة ومعها المال، وقد لا يكون معها، فهى حياة الهدوء والطمأنينة والرضا، ولا شك أن فى الحياة أشياء كثيرة غير المال تطيب بها الحياة، إذ فيها الإتصال بالله تعالى والثقة به، والإطمئنان إلى رعايته، فيها ستر الله ورضاه، فيها الصحة وهدوء النفس والبركة فى الرزق، فيها سكن البيوت ومودات القلوب.

هذه هى السعادة التى لا تنقطع والمتعة التى لا تضر والسرور الذى لا يزول، هذه هى السعادة الحقيقة بالطلب الجديرة بالرغبة.

ويرشدنا **الإمام الشافعى** ﷺ إلى النظرة الصحيحة للحياة فيقول:

"من ذا الذى قد حاز راحة سره ⁂ فى يسره إن كان أوفى عسره
فلربما يشقى الفتى بما له ⁂ أضعاف مايشقى الفقير بفقره
ولقد حسدت الطير فى أوكارها ⁂ فرأيت أكثرها يصاد بوكره
تالله لو عاش الفتى من عمره ⁂ ألفاً من الأعوام مالك أمره
لا يعتريه السقم فيها مرة ⁂ كلا ولا تجرى الهموم بفكره
ما كان ذلك كله مما يفى ⁂ بمسيت أول ليلة فى قبره"[1]

---

[1] ديوان الشافعى صـ٦١ تأليف محمد عبد المنعم خفاجى مكتبة الكليات الأزهرية – بدون .والشافعى هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان أبو عبد الله المكى ، نزيل مصر أحد العلماء وسيد الفقهاء وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين ت ٢٠٤ هـ(التهذيب٩/ ٢٢٣)،والتقريب (٢/ ١٤٣) ، حلية الأولياء(٦٣/٩).

وبعـــد :

فقد أصيب المسلمون فى هذا العصر بمحن عظيمة، وأحاطت بهم الفتن من كل جانب، ووقع كثير من المسلمين فيها، وظهرت المنكرات واستعلن الناس بالمعاصى بلا خوف ولا حياء، وسبب ذلك كله: التهاون بدين الله تعالى وعدم تعظيم حدوده وشريعته واتباع خطوات الشيطان، وغفلة كثير من المصلحين عن القيام بشرع الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والركون إلى شهوات الدنيا، ولا خلاص للمسلمين ولا نجاة لهم من هذه المصائب والفتن إلا بالتوبة الصادقة إلى الله تعالى، وتعظيم أوامره ونواهيه والأخذ على أيدى السفهاء وأطرهم على الحق طراً.

فإن الحياة تتقلب بالناس، ولا يساعد على الصمود أمام شدائدها إلا إيمان قوى وخلق قويم، ونفس عالية ونظرة فاحصة إلى قيمة الحياة ورسالة الإنسان فيها، وأمتنا العربية الآن تجتاز مرحلة دقيقة تحتاج إلى عزيمة صادقة ونفس قوية وانصراف إلى الروح وعزوف عن المظاهر الكاذبة والقناعة من مادياتها بالقليل لنوفر الخير والسعادة للأمة بفضل التعاون المثمر والإريحية الطيبة والإهتمام بالجوهر واليقظة لما يدبره لنا المستقبل.

هذا وبعد أن ألقيت الضوء على تعريف الشقاء، وبينت مفهوم السعادة والأسس التى تقوم عليها، وعلامات السعادة والشقاوة، ننتقل سوياً إلى إلقاء الضوء على أسباب الشقاء.. والله المستعان.